الكرماء : أو

اللؤلؤ المرتب

« أحاديث موثوقة عن ائمة اهل البيت »
« عليهم السلام فى الكرم والجود والسخاء »
« ونماذج ممتعة من كرم آل الرسول (ص) »
« وقصص رائعة من اخبار الأسخياء »
« المشهورين فى العصور المتقدمة »

تأليف

السيد محمد رضا الشاه عبد العظيمي

المتوفى سنة ١٣٣٤هـ — ١٩١٨م

مراجعة وتقديم العلامة الجليل
السيد علي الهاشمي

مكتبة الثقافة الدينية - النجف

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 015934787

الكرماء :

او

Shah Abd al-Azim

اللؤلؤ المرتب

تأليف

سماحة العلامة المغفور له

السيد محمد رضا الشاه عبد العظيمي

المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ

راجعه وقدم له

سماحة العلامة الخطيب السيد علي الهاشمي

إصدار

مكتبة الثقافة الدينية

النجف الاشرف ـ العراق

الطبعة الثانية

مطبعة النعمان ـ النجف

١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦

(RECAP)
BJ1533
G4552
1966

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015934787

حيـاة المؤلف

بقلم : أحد فضلاء النجف المعروفين

هو السيد محمد رضا ابن السيد محمد علي (صاحب الايقاد) ابن السيد الميرزا محمد ابن الميرزا جان ، الملقب بالميرزا هداية الحسيني الشاه عبدالعظيمي النجفي ، عالم أديب محقق ، كان اصغر انجال أبيه ، ولد في النجف سنة ١٣٠٤ هـ ونشأ فيها على والده الجليل نشأةً طيبةً ، ولازمه فاعتنى رحمه الله به وغذاه العلم والفضل ، وكان المترجم له يمتاز باستعداد وذكاء ، فقطع مراحل الدراسة الأولية ، وحضر على والده وغيره من علماء عصره كالآخوند محمد كاظم الخراساني ، والعلامة الفقيه السيد محمد كاظم اليزدي والعلامة آغا ضياء العراقي ، وجدَّ واجتهد حتى نال مكانةً سامية في العلم والأدب ، وبلغ مراتب الشيوخ في سن الشباب مع نضوج الفكر والتروي في الأمور ، وكان مع نبوغه في الفقه والأصول أديباً بارعاً وباحثاً خبيراً ، كما كان من النوابغ في الاوساط المحيطة به ، لاتصافه بالسجايا الجميلة وتحليه بمكارم الاخلاق مع صغر سنه ، وكان يحضر مجلس درسه جملة من المحصلين وقد توفى

المترجم له بعد والده بتسعة اشهر في سنه ١٣٣٤ هـ ودفن في الصحن الشريف العلوي ، وله تصانيف منها (اللؤلؤ المرتب في أخبار البرامكة وآل المهلب) وهو الذي بين يديك ، وقد ذكره الاستاذ اليان سركيس في (معجم المطبوعات) في ص ١٦٥٨ ولكنه لقب المترجم له بالعزيمى بالزاي والصحيح العظيمي بالظاء المعجمة كما ذكرنا ، وهذا الكتاب من أحسن واوعى ما كتب في الكرم واخبار الكرماء مما برهن على سمو أدب المترجم له وعنوان الكتاب (لؤلؤة لؤلؤة) طبع في النجف لأول مرة سنة ١٣٢٨ هـ ، ذكر في مقدمته انه ألف كتاباً كبيراً على منوال الكشكول ولما رأى صعوبة طبعه وانتشاره أدى نظره الى تجزئته واختصاره فاختار منه هذا الكتاب ، ومن مؤلفاته أيضا (ملهى الحبيب عن الخل والحبيب) كانت نسخته عند أخيه الفاضل السيد محمد كاظم وقد استعارها بعض أهل العلم وفقدت عند المستعير ، والمظنون انها نسخة الاصل بخط مؤلفها ، وله أيضا من المؤلفات (مصباح الداعي) في الادعية المأثورة والأذكار ، توجد نسخته في النجف عند السيد محمد باقر ابن السيد محمد بن السيد الفقيه السيد الطباطبائي اليزدي النجفي خلّف المترجم ولداً واحداً هو السيد مهدي نزيل طهران وابنتين تزوجهما السيد عباس والسيد مصطفى ابنا أخيه العلامة السيد

محمد كاظم الشاه عبد العظيمي، ذكر هذه الترجمة شيخنا العلامة الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني أدام الله وجوده في (طبقات أعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول المسمى (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) ص ٧٦٢ فراجعها وقد رأت (مكتبة الثقافة الدينية) في النجف لصاحبها (محمد الكتبي) ان تقوم باعادة طبع الكتاب ونشره (باخراجٍ ممتاز يلائم والاسلوب الفني الحاضر نزولاً عند رغبة بعض الاخوان من الادباء الكرام سلمه الله تعالى وخدمة عامة لاخواننا ممن يقدرون امثال هذه المؤلفات النافعة والله خير وفقٍ ومعين .

النجف الاشرف في أول شعبان المعظم ١٣٨٤ هـ

اللؤلؤ المرتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الأنعام ، والصلاة والسلام على أكرم خلقه محمد سيد الأنام وآله الطاهرين الغر الكرام .

(اما بعد) فيقول الأحقر الجاني محمد رضا الحسيني الشاه عبدالعظيمي : لا يخفى على ذوي الألباب من ذوي الآداب اني ألفت منذ أزمان كتاباً على منوال الكشكول ، ولما رأيت صعوبة طبعه وانتشاره أدى نظري ثانياً الى تجزئته واختصاره، فمما اخترت منه هذا الجزء الشريف الحاوي لغرر أخبار الكرماء والمحتوي على درر أنباء الملوك والأمراء ، ولما كان المقصود من هذا الجزء أخبار آل المهلب وآل برمك ذكرنا من باب الاستطراد شيئا من فضل الكرم ونبذة من أنباء سائر الأجواد .

وانما لم أذكر من جود أهل البيت عليهم الصلاة والسلام الا اليسير مع انهم أساس الكرم ومن فيض بحار جودهم اغترفت الكرام لأنا لو رمنا استقصاء شيء من ذلك فضلاً عن الجميع لأفنينا الطروس والأقلام وعجزنا عن احصاء ذلك مدى الليالي

والأيام ، وانما ذكرنا هذا اليسير لأجل التبرك والتيمن بافتتاح الكلام بذكر سادات الأنام عليهم الصلاة والسلام ما سالت الأودية وجاد الغمام .

ثم إنا ذكرنا في آخره للمناسبة الضدية شيء من ذم البخل ونبذة من أنباء البخلاء .

ثم ليعلم انا بنينا في هذا الجزء على الاختصار حذراً من الوقوع فيما كان منه الفرار ، وليسم (اللؤلؤ المرتب) في أخبار البرامكة وآل المهلب . وهذا أوان الشروع .

(لؤلؤة) وفيها اطراف

الطرف الاول فى كرم أمير المؤمنين (ع)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم امير المؤمنين وسيد المسلمين وأبي الأئمة الطاهرين علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه .

عن ابن عباس والسدي ومجاهد والكلبي وابي صالح والواحدي والثعلبي والطبرسي والماوردي والقشيري والثمالي والنقاش والفتال وعلي بن حرب الطائي في تفاسيرهم انه كان عند علي (ع) أربعة دراهم فضة ، فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية ، فنزل « الذين ينفقون أموالهم بالليل» الآية ، فسمى كل درهم مالاً وبشره بالقبول .

وعن تاريخ البلاذري وفضائل أحمد انه كانت غلة علي (ع) أربعين ألف ديناراً فجعلها صدقة ، وانه باع سيفه وقال : لو كان عندي عشاء ما بعته .

ابن شهراشوب : وانفق عليه السلام على ثلاث ضيفان من الطعام قوت ثلاث ليال ، فنزل فيه ثلاثون آية .

وجاء رجل الى النبي (ص) يشكو الجوع ، فبعث النبي (ص) الى أزواجه فلم يكن عندهن شيء ، فأتى به علي (ع) الى بيته وقال: يا فاطمة نومي الصبية واطفيء المصباح وجعلا يمضغان بألسنتهما ، فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة (ع) بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله ، فلما أصبح صلى مع النبي (ص) فلما سلم النبي (ص) نظر الى امير المؤمنين (ع) وبكى بكاءاً شديداً وقال : لقد عجب الرب من فعلكم البارحة اقرأ « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » أي مجاعة « ومن يوق شح نفسه » يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين « فأولئك هم المفلحون » .

وعن ابن عباس ان المقداد قال له يوماً : انا منذ ثلاثة ايام ما طعمت شيئاً فخرج (ع) وباع درعه بخمسة دراهم ودفع اليه بعضها وانصرف متحيراً ، فناداه اعرابي اشتر مني هذه الناقة مؤجلاً فاشتراها بمائة درهم ، ومضى الأعرابي فاستقبله آخر وقال : بعني هذه الناقة بمائة وخمسين درهماً ، فباع فرآه النبي (ص) وتبسم وقال : يا علي الأعرابي صاحب الناقة جبرئيل والمشتري ميكائيل ، يا علي المائة عن الناقة والخمسين بالخمس التي دفعتها الى المقداد ، ثم تلا « ومن يتق الله يجعل له » الآية . واعطاؤه عليه السلام الخاتم ونزول آية التصديق فيه اشهر من أن يذكر .

وعن الصادق عليه السلام انه أتى ظلة بني ساعدة في ليلة قد رشت السماء ومعه جراب فاذا هو بقوم نيام ، فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخره .

وكان عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض اصحابه : لوددت اني كنت يتيماً .

وعنه عليه السلام انه قال : ما جمعت من المال فوق قوتك انما أنت فيه خازن لغيرك .

وعنه عليه السلام : من كانت له حاجة فليرفعها الي في كتاب لأصون وجهه عن المسألة .

وجاءه عليه السلام اعرابي قال : يا امير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن اذكرها . فقال عليه السلام : خطها في الأرض . فكتب اني فقير ، فقال عليه السلام : يا قنبر اكسه حلتي فقال الأعرابي :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة
وليس تبغي بما قدمته بدلا

ان الثنـــاء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به
كل امرء سوف يجزى بالذي فعلا

فقال عليه السلام : زده يا قنبر مائة دينار • فقال : يا امير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت به من شأنهم • فقال (ع) : صه يا قنبر اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اشكروا لمن اثنى عليكم ، واذا أتاكم كريم قوم أكرموه •

ومما ينسب اليه :

سأمنح مالي كل من جاء طالباً وأجعله وقفاً على القرض والفرض
فاما كريم صنت بالمـــال عرضه واما لئيم صنت عن لؤمه عرضي

قال ابن ابي الحديد في الشرح : واما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة ، كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده ، وفيه انزل «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً » • وروى المفسرون انه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية ، فأنزل فيه : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » • وروى عنه انه كان يسقي بيده لنخل

قوم من يهود المدينة حتى مجلت [١] يده ويتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجراً . وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام كان اسخى الناس ، كان على الخُلق الذي يحبه الله السخاء والجود ما قال « لا » لسائل قط . وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال له جئتك من عند أبخل الناس ، ويحك كيف تقول انه من أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه ، وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها ، وهو الذي قال : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ، وهو الذي لم يخلّف ميراثاً ، وكانت الدنيا كلها بيديه الا ما كان من الشام — انتهى .

الطرف الثاني في كرم الحسن (ع)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم سيد شباب أهل الجنة ، كريم أهل البيت ، رابع اصحاب الكساء ، الامام أبي محمد الحسن ابن علي صلوات الله وسلامه عليه .

سأل معاوية الحسن بن علي عليه السلام عن الكرم ؟ فقال عليه السلام : هو التبرع بالمعروف قبل السئوال ، والرأفة بالسائل

---

(١) مجلت يده : أي ثخن جلده وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة .

مع البذل .

وعن أنس قال : كنت عند الحسن عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان ، فحيته بها فقال لها : أنت حرة لوجه الله فقلت له : حيتك جارية بطاقة ريحان لا قيمة لها فأعتقتها ؟ فقال عليه السلام : كذا أدبنا الله فقال : « وان حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » وكان أحسن منها اعتاقها .

وصب على يده بعض غلمانه ماءاً فأصاب ثيابه شيء منه ، فخاف الغلام وقال « والكاظمين الغيظ » فقال عليه السلام : كظمت . فقال الغلام « والعافين عن الناس » فقال عليه السلام : عفوت . فقال « والله يحب المحسنين » فقال عليه السلام : اعتقتك ووهبت لك أربعمائة دينار .

وقيل له عليه السلام : ان فيك عظمة . فقال (ع) لا بل فيّ عزة ، قال الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وكان الرجل يجلس معه عليه السلام الى ثلاث حجج لا يسأله عن مسألة هيبة له .

وسأل رجل الحسن (ع) فقال له : ما وسيلتك ؟ فقال : وسيلتي اني اتيتك عام اول فبررتني . فقال عليه السلام مرحباً بمن توسل الينا بنا ، ثم وصله وأكرمه .

يقال : الكريم اذا سئل ارتاح ، واللئيم اذا سئل ارتاع .

عن محمد بن اسحاق : انه كان يبسط له باب داره ، فاذا خرج وجلس انقطع الطريق ، فما مر أحد من خلق الله اجلالاً له ، فاذا علم قام ودخل بيته فمر الناس .

ولقد رأيته في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى ، فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى ، حتى رأيت سعد بن ابي وقاص قد نزل ومشى الى جنبه .

وخرج عليه السلام من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى انه كان ليعطى نعلاً ويمسك نعلاً ويعطى خفاً ويمسك خفاً .

وسأله عليه السلام رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وقال : ائت بحمال يحمل لك ، فأعطى طيلسانه وقال : هذا كرى الحمال .

وجاءه عليه السلام اعرابي فقال : إعطوه ما في الخزانة ، فوجد فيها عشرون ألف درهم ودفعها الى الأعرابي ، فقال الأعرابي : يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وانشر مدحتي ، فأنشأ الحسن :

نحن اناس نوالنا خضل [1] يرتع فيه الرجاء والأمل

---

(١) خضل الشيء خضلاً : ندي حتى ترشش نداه وابتل .
و « نوالنا خضل » أي كثير يسري الى كل أحد .

تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسل

لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل

وسمع عليه السلام رجلاً الى جنبه في المسجد الحرام يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الى بيته وبعث اليه بعشرة آلاف درهم .

ومما ينسب اليه :

خلقتَ الخلائقِ من قدرة فمنهم سخيٌّ ومنهم بخيل

فأما السخيُّ ففي راحة وأما البخيلُ فحزن طويل

وأتاه عليه السلام رجل وسأله حاجة فقال له : يا هذا حق سؤالك يعظم لدي ، ومعرفتي بما يجب يكبر لدي ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله عز وجل قليل ، وما في ملكي وفاء لشكرك ، فان قبلت بالميسور ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام بما تكلفه من واجبك فعلت . فقال : يابن رسول الله أقبل القليل ، وأشكر العطية ، وأعذر على المنع . فدعا الحسن عليه السلام وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلاثمائة الف درهم ، فأحضر خمسين ألفاً فقال : فما فعل الخمسمائة دينار ؟ قال : هي عندي . قال : احضرها ، فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل وقال : هات من

يحملها لك . فأتاه بحمالين فدفع الحسن عليه السلام اليه رداءه لكرى الحمالين ، فقال مواليه : والله ما عندنا درهم . فقال (ع) : لكنني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم .

ووقف رجل على الحسن عليه السلام فقال : يابن أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك اليه بل انعام منه عليك الا ما انصفتني من خصمي فانه غشوم ظلوم لا يوقر الشيخ الكبير ولا يرحم الطفل الصغير ، وكان متوكأ فاستوى جالساً وقال : من خصمك حتى انتصف لك منه ؟ فقال له : الفقر . فأطرق عليه السلام ثم رفع رأسه الى خادمه وقال : احضر ما عندك ، فأحضر خمسة آلاف درهم ، فدفعها اليه ثم قال له : بحق هذه الأقسام التي أقسمت بها علي متى أتاك خصمك جائراً الا ما اتيتني منه متظلماً .

واشترى عليه السلام حائطاً من قوم من الانصار بأربعمائة الف ، فبلغه انهم احتاجوا الى ما في أيدي الناس ، فردّه اليهم .

وعنه عليه السلام انه قال : انّي لأستحي من ربي ان ألقاه ولم أمش الى بيته ، فروى انه عليه السلام حج خمسة وعشرين حجة ماشياً ، وان النجائب لتقاد بين يديه .

وفي المحاسن والمساوىء للبيهقي : ذكروا أن رجلين أحدهما

من بني هاشم والآخر من بني امية ، قال هذا قومي اسمح وقال هذا قومي اسمح ، قال فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي ، فانطلق صاحب بني امية فسأل عشرة فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، وانطلق صاحب بني هاشم الى الحسن بن علي عليه السلام فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ، ثم أتى الى الحسين عليه السلام فقال له : هل بدأت بأحد قبلي ؟ قال : بدأت بالحسن . قال : ما كنت استطيع أن أزيد على سيدي شيئاً فأعطاه مائة وخمسين ألفاً ، فجاء صاحب بني امية يحمل مائة الف درهم من عشرة أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة الف درهم من نفسين ، فغضب صاحب بني امية فردها عليهم فقبلوها ، وجاء صاحب بني هاشم وردها عليهما فأبيا أن يقبلاها وقالا : ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق .

الطرف الثالث فى كرم الحسين (ع)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم سيد شباب أهل الجنة ، خامس أصحاب الكساء ، سيد الشهداء الامام أبي عبدالله الحسين صلوات الله وسلامه عليه .

عن عمرو بن دينار قال : دخل الحسين عليه السلام على اسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول : وا غماه . فقال الحسين

عليه السلام : وما غمك يا اخي ؟ قال : ديني وهو ستون ألف درهم . فقال عليه السلام : هو علي . قال : اخشى أن أموت فقال عليه السلام : لن تموت حتى اقضيها عنك . قال : فقضاها قبل موته .

وقدم أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها ، فدل على الحسين (ع) ، فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بأزائه وأنشأ :

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرك من دون بابك الحلقه
أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من أوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبقه

فلما سلم الحسين عليه السلام قال : يا قنبر هل بقى من مال الحجاز شيء ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار . فقال : هاتها قد جاء من هو أحق بها منا . ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءاً من الأعرابي وأنشأ :

خذها فاني اليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سيرنا الغداة عصا ... أمست سمانا عليك مندفقه
لكن ريب الزمان ذو غير ... والكف مني قليلة النفقه

قال : فأخذها الاعرابي وبكى فقال له : لعلك استقللت ما أعطيناك ؟ قال : لا ولكن كيف يأكل التراب جودك .

وعلم عبدالرحمن السلمي أحد ولده عليه السلام الحمد ، فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار والف حلة وحشا فاه درا . فقيل له في ذلك فقال عليه السلام : واين يقع هذا من عطائه — يعني تعليمه .

وأنشد الحسين :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها اذا ما تولت

ومن تواضعه عليه السلام انه مر بمساكين وهم يأكلون كسرا لهم على كساء ، فسلم عليهم فدعوه الى طعامهم فجلس معهم وقال : لولا انه صدقة لأكلت معكم . ثم قال : قوموا الى منزلي فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بمال .

وكان عليه السلام يقول : شر خصال الملوك : الجبن من الاعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عند الإعطاء .

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي : قد اشتهر النقل عنه عليه السلام بأنه كان يكرم الضيف ، ويمنح الطالب ، ويصل الرحم ، وينيل الفقراء ، ويسعف السائل ، ويكسو العريان ، ويشبع الجيعان ، ويعطي ويشد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة ، وقلّ ان وصله مال الا فرقه — انتهى .

قال ابن الصباغ المكي المالكي : قيل ان معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوة فاخرة ، فرد الجميع عليه ولم يقبل منه شيئاً ، فهذه سجية الجود وشنشنة الكرم وصفة من حوى مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم .

ومما يؤديك بكرمه وسماحته ذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا من ثبات قلبه وشجاعته ، إذ الشجاعة والسماحة توأمان ورضيعا لبان ، الجواد شجاع والشجاع جواد ، وهذه قاعدة كلية وان خرج منها بعض الآحاد .

ومن خاف الوصمة في شرفه جاد بالطريف من ماله والتلاد ، وقد قال أبو تمام في الجمع بينهما وأجاد :

واذا رأيت أبا يزيد في ندى ... ووغى ومبدأ غارة ومعيدا

أيقنت ان من السماح شجاعة ... تدنى وان من الشجاعة جودا

وقال آخر في هذا المعنى :

يجود بالنفس ان ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وعن الخوارزمي في كتاب له في مقتل آل الرسول : ان اعرابياً جاء الى الحسين (ع) فقال : يابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها ، فقلت في نفسي اسأل أكرم الناس ، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله . فقال الحسين (ع) :

يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل فان أجبت عن واحدة اعطيتك ثلث المال ، وان أجبت عن اثنين اعطيتك ثلثي المال ، وان أجبت عن الكل اعطيتك الكل . فقال الأعرابي : يابن رسول الله امثلك يسأل مثلي ؟ فقال الحسين (ع) : سمعت جدي رسول الله (ص) يقول « المعروف بقدر المعرفة » . فقال الأعرابي : سل عما بدا لك فان أجبت والا تعلمت منك .

فقال الحسين (ع) : أي الأعمال أفضل ؟ فقال الأعرابي : الايمان بالله . فقال الحسين : فما النجاة من المهلكة ؟ فقال الاعرابي : الثقة بالله . فقال الحسين (ع) فما يزين الرجل ؟ فقال : علم معه حلم . فقال : فان اخطاه ذلك ؟ فقال : مال معه مروة . فقال : فان أخطاه ذلك . فقال : فقر معه صبر . فقال : فان اخطاه ذلك ؟ فقال الأعرابي : فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فانه أهل لذلك . فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصرة اليه فيها الف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مأتا درهم وقال : يا اعرابي اعط الذهب الى غرمائك واصرف الخاتم في نفقتك ، فأخذ الاعرابي المال وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

الطرف الرابع فى كرم زين العابدين (ع)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم سيد الساجدين وزين

العابدين الامام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه .

عاد (ع) محمد بن اسامة في مرضه فجعل يبكي فقال (ع) ما شأنك ؟ قال : علي دين . قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر الف دينار . قال عليه السلام : هو عليّ . وقد تقدم مثل ذلك للحسين مع اسامة .

ولما قال الفرزدق قصيدته المشهورة فيه عليه السلام غضب هشام فحبسه بعسفان بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث اليه باثنى عشر ألف درهم وقال : اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به ، فردها وقال : يابن رسول الله ما قلت هذا الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله ، فردها عليه وقال : بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعرف نيتك . فقبلها الفرزدق وقال في الحبس هاجياً لهشام :

اتحبسني بين المدينة والتي ... اليها قلوب الناس تهوى منيبها
تقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها

عن تاريخ الطبري عن الواقدي قال : كان هشام بن اسماعيل يؤذي علي بن الحسين عليه السلام في امارته ، فلما عزل امر به الوليد أن يوقف للناس فقال : ما اخاف الا من علي بن الحسين وقد وقف عند دار مروان ، وكان علي عليه السلام قد تقدم الى

خاصته ألا يعرض له أحد منكم بكلمة ، فلما مر ناداه هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته . وزاد ابن الفياض في الرواية في كتابه ان زين العابدين عليه السلام انفذ اليه وقال : انظر الى ما اعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا ، فنادى هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

عن محمد بن اسحاق بن يسار قال : كان في المدينة كذا وكذا أهل بيت يأتيهم رزقهم وما يحتاجون اليه لا يدرون من أين يأتيهم فلما مات الامام علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ذلك فصرخوا صرخة واحدة .

عن أبي حمزة الثمالي : كان علي بن الحسين عليه السلام يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدراهم حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج اليه ، فلما مات عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا ان علي بن الحسين (ع) كان بفعل ذلك .

يقال : لما وضع علي بن الحسين على السرير ليغسل نظر الى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين .

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه وأفرط ، فبادر اليه

العبيد والموالى فكفهم وأقبل عليه وقال : ألك حاجة نعينك عليها ، فاستحى الرجل فألقى له قميصه وأمر له بخمسة آلاف درهم فقال : أشهد انك ابن المصطفى .

عن عبدالله بن المبارك قال : حججت بعض السنين الى مكة ، فاذا صبي يسير في ناحية من الحاج ، فتقدمت وسلمت عليه وقلت له : مع من قطعت البر ؟ قال : مع البار ، فكبر في عيني فقلت : أين زادك وراحلتك ؟ فقال : زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي . فعظم في نفسي فقلت : ممن تكون ؟ فقال : هاشمي . فقلت : ابن لي . فقال : علوي فاطمي . فقلت : يا سيدي هل قلت شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم . فقلت : أنشدني منه . فقال :

لنحن على الحوض ذوّاده ... نذوق ونسقي ورّاده
وما فاز من فاز إلا بنا ... وما خاب مَن حبنا زاده
ومن سرنا نال منا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا ... فيوم القيامة ميعاده

ثم غاب عني الى أن أتيت مكة فرأيت الناس حافين به ، فسألت عنه فاذا هو زين العابدين عليه السلام .

ونسب أكثر علماء أهل السنة هذه القصة الى الباقر (ع) .

وكان عليه السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وحج

على ناقة له عشرين حجة ما قرعها بسوط .

ابن حماد :

وراهب أهل البيت كان ولم يزل ... يلقب بالسجاد حسن تعبده
يقضي بطول الصوم طول نهاره ... منيباً ويفنى ليله بتهجده
فأين به من علمه وفائه ... وأين به من نسكه وتعبده

القاضي بن قاروس المصري :

أنت الامام الآمر العدل الذي ... جنب [1] البراق لجده جبريل
الفاضل الأطراف لم ير فيهم ... الا امام طاهر وبتول
أنتم خزائن غامضات علومه ... واليكم التحريم والتحليل
فعلى الملائك ان تؤدي وحيه ... بأمانة وعليكم التأويل

ابن الحجاج :

أنت الامام الذي لولا ولايته
ما صح في العدل والتوحيد معتقدي

(الطرف الخامس)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم باقر علوم آل محمد صلى الله عليه وآله ، الامام ابي جعفر محمد .

قال ابن الصباغ المكي المالكي : روى جابر بن عبدالله

---

(١) جنب : اشتاق وقلق من شدة الشوق .

الانصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جابر يوشك ان تلحق بولد من ولد الحسين (ع) اسمه اسمي يبقر العلم بقراً — أي يفجره تفجيراً — فاذا رأيته فاقرأه عني السلام . قال جابر : فأخر الله مدتي حتى رأيت الباقر عليه السلام فأقرأته السلام عن جده محمد صلى الله عليه وآله — انتهى .

عن سليمان بن قرم قال : كان أبو جعفر عليه السلام يجزنا بالخمسمائة الى الستمائة الى الالف درهم .

عن سفيان : ما لقينا أبا جعفر عليه السلام الا وحمل الينا النفقة والصلة والكسوة فقال : هذه معدة لكم قبل أن تلقوني .

وشكا الحسن بن كثير اليه عليه السلام الحاجة فقال : بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً ، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال : استنفق هذه فاذا انفدت فاعلمني .

قال ابن الصباغ المكي المالكي : وكان محمد بن علي بن الحسين عليه السلام مع ما هو عليه من العلم والفضل والسؤدد والرياسة والامامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة ، مشهور الكرم في الكافة ، معروفاً بالاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله . وحكت سلمى مولاة ابي جعفر عليه السلام انه كان يدخل عليه بعض اخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم

الثياب الحسنة في بعض الاحيان ويهب لهم الدراهم ، فكنت أقول له في ذلك فيقول : يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الاخوان والمعارف ، وكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة الى الا الف درهم — انتهى .

روى عن الصادق عليه السلام انه قال : دخلت على أبي يوماً وهو يتصدق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار ، واعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً .

وحكى ان الباقر عليه السلام أو الجواد عليه السلام رأى في الطواف أعرابياً عليه ثياب رثة رافعاً رأسه الى السماء وهو يقول :

اما تستحي مني وقد قمت شاخصاً
أناجيك يا رب وأنت عليم
فان تكسني يا رب ثوباً وفروة
اصلّي صلاتي دائماً وأصوم
وان تكن الأخرى على حال ما أرى
فمن ذا على ترك الصلاة يلوم
اترقب أولاد العلوج وقد خلوا
وتترك شيخاً والداه تميم

قال : فدعى به الامام عليه السلام فجعل عليه قميصاً وفروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس ، فلما كان في العام الثاني وافى الحج وعليه كسوة جميلة وحالة مستقيمة ، فقال له الامام عليه السلام : يا اعرابي رأيتك في العام الماضي بسوء حال وأراك الآن ذا ثروة وجمال ؟ فقال : انى عاتبت كريماً فاغتنيت

ابن الحجاج :

اذا غاب بدر الدجى فانظر ... الى ابن النبي ابى جعفر
ترى خلفاً منه يزرى به ... وبالفرقدين وبالمشتري
امام ولكن بلا شيعة ... ولا بالمصلي ولا منبر

المغربي :

يابن الذي بلسانه وبيانه ... هدى الانام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت ... بقدومه التوراة والانجيل
لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل الا أنه ... لم يأته برسالة جبريل

زيد بن علي رضى الله عنه في رثائه :

ثوى باقر العلم في ملحد ... امام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده ... امام الورى الأوحد الأمجد
ابا جعفر الخير أنت الامام ... وأنت المرجّى لبلوى غد

(الطرف السادس)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم كلام الله الناطق الامام ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله وسلامه عليه ٠

عن الأنوار ان النبي (ص) قال : اذا ولد جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين ابني فسموه الصادق ، فانه ولدي يولد منه ولد يقال له الكذاب ، ويل له من جرأته على الله وكذبه على ابن اخيه صاحب الحق مهدي أهل بيتي ، فلأجل ذلك سمي الصادق ٠

وفي خبر : اذا ولد ابني جعفر بن محمد فسموه الصادق ، فان الخامس من ولده اسمه جعفر يدعي الامامة افتراءاً على الله وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذاب ٠

عن الحلية باسناده عن ابي الهياج بن بسطام قال : كان جعفر ابن محمد عليه السلام يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء ٠

عن ابن حنيفة السابق قال مر بنا المفضل وأنا واختي تتشاجر في ميراث ، فوقف علينا ساعة ثم قال : تعالوا الى المنزل ، فأتيناه وأصلح بيننا بأربعمائة درهم ودفعها الينا من عنده ، ثم قال : أما انها ليست من مالي ولكن أبو عبدالله أمرني اذا تشاجر رجلان من أصحابنا في شيء أصلح بينهما وافتديهما من مال ابي عبدالله (ع)٠

عن كتاب الفنون : نام رجل من الحاج في المدينة فتنوهم ان

همیانه سرق ، فخرج فرأى الصادق عليه السلام مصلياً ولم يعرفه فتعلق به وقال له : أنت أخذت همياني . فقال : ما كان فيه ؟ فقال: الف دينار . قال : فحمله الى داره ووزن له ألف دينار وعاد الى منزله فوجد همیانه ، فعاد الى الصادق عليه السلام معتذراً بالمال فأبى قبوله وقال : شيء خرج من يدي لا يعود الي . قال : فسأل الرجل عنه فقيل : هذا جعفر الصادق عليه السلام . فقال : لا جرم هذا فعال مثله .

ودخل الاشجع السلمي على الصادق فوجده عليلا ، فجلس وسأل عن علة مزاجه فقال له الصادق عليه السلام : تعدّ عن العلة ولذكر ما جئت له فقال :

ألبسك الله منه عافية في نومك المعترى وفي أرقك
يخرج من جسمك السقام كما أخرج ذل الفعال من عنقك

فقال عليه السلام : يا غلام أي شيء معك ؟ قال : أربعمائة . فقال عليه السلام : اعطها للأشجع .

البرسي في مشارق الأنوار : إن فقيراً سأل الصادق عليه السلام فأعطاه أربعمائة درهم ، ثم لما ولي أمر به فأرجع فقال له : قال رسول الله (ص) خير الصدقة ما ابقت غني وانا لم نغنك فخذ هذا الخاتم فقد اعطيت فيه عشرة آلاف درهم ، فاذا احتجت فبعه

بهذه القيمة .

الحسن بن محمد بن المتجعفر يمدح الصادق (ع) :

فأنت السلالة من هاشم وأنت المهذب والأطهر
ومن جده في العلى شامخ ومن فخره الأعظم الأفخر
ومن أهله خير هذا الورى ومن لهم البيت والمنبر
ومن زمزم لهم والصفا ومن لهم الركن والمشعر
ومن شرعوا الدين في العالمين فأنوارهم أبداً تزهر
ومن لهم الحوض يوم المقام ومن لهم النشر والمحشر
وأنتم كنوز لأشياعكم وانكم الصفو والجوهر
وانكم الغرر الطاهرون وانكم الذهب الأحمر
وسيد أيا منا جعفر وحسبك من سيد جعفر

واستقبله عبدالله بن المبارك يوما فقال :

أنت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء
انما الأشراف أرض ولهم أنت سماء
جاز حد المدح من قد ولدته الأنبياء

أبو هريرة الأبار في رثائه :

أقول وقد راحوا به يحملونه على كاهل من حامليه وعاتق
اتدرون ماذا تحملون الى الثرى ثبير ثوى من رأس علياء شاهق

غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ترباً وأولى كان فوق المفارق
ايا صادق بن الصادقين اليـة بآبائك الأطهار حلفة صادق

(آخر) :

يا عين أبكي جعفر بن محمـد زين المشاعر كلهـا والمسجد

(العوني) :

عج بالمطى على بقيع الفرقد واقر التحية جعفر بن محمد
وقل ابن بنت محمد ووصيه يا نور كل هداية لم تجحد
يا صادقاً شهد الاله بصدقه فكفى مهابة ذا الجلال الأمجد
يابن الهدى وأبا الهدى أنت الهدى
يا نور حاضر سرّ كل موحـد
يابن النبي محمد أنت الذي أوضحت قصد ولاء آل محمد
ياسادس الأنوار يالمعم الهدى ضل امرؤ بولائكم لم يهتد

(الطرف السابع)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم الامام ابي ابراهيم موسى ابن جعفر صلوات الله وسلامه عليه .

كان يتفقد فقراء أهل المدينة فيحمل اليهم في الليل العين والورق وغير ذلك . فيوصله اليهم وهم لا يعلمون من اين جهةٍ هووشكا محمد البكري اليه فمد يده اليه بصرة فيها ثلاثمائة دينار .

وكان صرار موسى مثلاً . قال ابن خلكان : وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار ، وكان يصر الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة — انتهى .

وكان أحد أعداء الدين كثيراً ما يؤذيه ويشتمه ، فقال له بعض حاشيته : دعنا نقتله ، فنهاهم عن ذلك فركب يوماً فوجده في مزرعته فجالسه وباسطه وقال له : كم غرمت في زرعك هذا ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم ترجو ان تصيب ؟ قال : مائتي دينار . فأخرج له صرة فيها ثلاثمائة دينار وقال : خذ هذا وزرعك على حاله يرزقك الله فيه ما ترجو . فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكان يخدمه بعد ذلك .

وجلس المنصور في يوم نيروز ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنونه ويحملون اليه الهدايا والتحف ، فبعث المنصور جميع ما جاءه الى الامام ، فدفعها عليه السلام الى رجل كان أنشده ثلاث أبيات في رثاء الحسين (١) .

(١) الابيات الثلاثة هي هذه :

عجباً لمصقول عراك فرنده ... وقت الهياج وقد علاك غبار

ولأسهم رشقتك دون حرائر ... يدعون جدك والدموع غزار

وقال ابن حجر في الصواعق عند ذكر الكاظم : سمى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان معروفاً عند اهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان اعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم — انتهى .

أبو الحسن المعاذ :

زر ببغداد قبر موسى بن جعفر ... قبر موسى مديحه ليس ينكر
هو باب الى المهيمن تقضى ... منه حاجاتنا وتحيى وتجبر
هو حصني وعدتي وغياثي ... وملاذي وموئلي يوم احشر
صائم القيظ كاظم الغيظ ... في الله مصفى به الكبائر تغفر
كم مريض وافى اليه فعافاه ... وأعمى أتاه صح وأبصر

ولبعضهم في رثائه عليه السلام :

اتقتل يابن الشفيع المطاع ... ويابن المصابيح وابن الغرر
ويابن الشريعة وابن الكتاب ... ويابن الرواية وابن الأثر
مناسب ليس بمجهولة ... ببدو البلاد ولا بالحضر
مهذبة من جميع الجهات ... ومن كل شائبة أو كدر

في الاتحاف للشبراوي الشافعي وقال فيه بعضهم :

قد قلت للرجل المولّى غسله ... هلا اطعت وكنت من نصحائه

لم لا تحطمت السهام وعاقها ... عن وصلك الاجلال والاكبار

جنبـه ماءك ثم غسله بمـا أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل افاويه الحنوط ونحها عنه وحنطه بطيب ثنـائه
ومر الملائكة الكرام بحمله كـرماً ألست تراهم بأزائه
لا توه اعناق الرجال بحمله يكفي الذي حملوه من نعمائه

(الطرف الثامن)

في ذكر قطرة من فيض بحار كرم الامام ابي الحسن علي الرضا صلوات الله وسلامه عليه .

مر رجل به عليه السلام فقال له : اعطني على قدر مروتك فقال له : لا يسعني ذلك . فقال : على قدر مروتي . فقال : اما ذا فنعم ، يا غلام اعطه مائتي دينار .

وجاء رجل يسأل منه ، فخرج عليه السلام ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال : خذ هذه المائتي دينار . فلما خرج سئل عن ذلك فاقل : مخافة ان أرى ذل السؤال في وجهه ، اما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله « المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجة » أما سمعت قول الشاعر :

متى آتـه يوماً اطالب حاجـة رجعت الى اهلي ووجهي بمائه

في الاتحاف للشبراوي الشافعي ويقال : ان علياً الرضا أعتق الف مملوك ـ انتهى .

وفرق عليه السلام ماله كله في يوم عرفة ، فقال له الفضل ابن سهل : ما هذا المغرم ؟ فقال عليه السلام : بل هو المغنم ، لا تعدّن ما ابتغيت به أجراً وكرماً مغرماً ، فقد كان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخر شيئا لغد ويعطي عطاء من لا يخاف الفقر .

عن محمد بن عباد قال : كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء ، ولبسه الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزيا .

وعن ابراهيم بن العباس : ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام ، ما جفا أحداً ، ولا قطع على أحد كلامه ، ولا رد أحداً عن حاجته ، وما مدّ رجليه بين يدي جليس ، ولا اتكى ، ولا شتم مواليه ومماليكه ، ولا قهقه في ضحكة ، وكان يجلس على مائدة مماليكه ومواليه ، قليل النوم بالليل ، يحيي أكثر لياليه من أولها الى آخرها ، كثير الصوم ، كثير المعروف والصدقة في السر ، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة . ولما أنشده دعبل قصيدته المشهورة حباه بمائة دينار ، وفي رواية ستمائة دينار .

وفي معاهد التنصيص : انه أمر له بعشرة آلاف درهم مما

ضرب باسمه ، وانه باع كل درهم منها بعشرة على ما سيأتي ، فرد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك به ، فأنفذ اليه بجبة خز مع الصرة وقال للخادم : قل له خذ هذه فانك ستحتاج اليها ، فانصرف دعبل وسار من مرو في قافلة ، فوقع عليهم اللصوص وأخذوا القافلة وكتفوا أهلها وجعلوا يقسمون أموالهم فتمثل رجل منهم بقوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فقال دعبل : لمن هذا البيت ؟ فقال : لرجل من خزاعة . قال : فأنا دعبل قائل هذه القصيدة ، فحلوا أكتافه وأكتاف جميع القافلة وردوا اليهم جميع ما أخذوا منهم ، وسار دعبل حتى وصل الى قم وأنشدهم القصيدة ، فوصلوه بمال كثير وسألوه أن يبيع الجبة بألف دينار ، فأبى وسار عن قم ، فلحقه قوم من أحداثهم وأخذوا الجبة منه ، فرجع دعبل وسألهم ردها عليه ، فقالوا : لا سبيل لك اليها فخذ ثمنها الف دينار — وفي المعاهد ثلاثين الف درهم — فقال : على ان تدفعوا لي شيئاً منها ، فأعطوه وانصرف فوجد اللصوص أخذوا جميع ما في منزله ، فباع المائة دينار التي كان الرضا عليه السلام وصله بها من الشيعة كل دينار بمائة درهم ، وتذكر قول الرضا عليه السلام « انك ستحتاج اليها » .

وفي معاهد التنصيص عن دعبل انه قال : سمعت في ليلة وأنا بنيسابور والباب مردود عليَّ قائلا يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فاقشعر بدني من ذلك فقال لي : لا ترع فاني رجل من اخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ علينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك « مدارس آيات » اه ، فأحببت أن اسمعها منك . قال : فأنشدته اياها فبكى حتى خر ، ثم قال : يرحمك الله ألا احدثك بحديث يعينك على التمسك بمذهبك ؟ قلت : بلى . قال مكثت حيناً اسمع بجعفر بن محمد ، فصرت الى المدينة فسمعته يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « علي وشيعته هم الفائزون » — انتهى .

عن محمد بن يحيى بن القاسم قال : نظر ابو نؤاس الى الرضا وقد خرج من المأمون على بغلة له ، فدنا منه وسلم عليه وقال : يابن رسول الله قد قلت فيك أبياتاً وأنا أحب ان تسمعها . فقال عليه السلام : هات ، فأنشأ يقول :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برى خلقاً وأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال عليه السلام : يا غلام هل معك من نفقتنا شيء ؟ فقال : نعم ثلاثمائة دينار . فقال : اعطها اياه ، ثم قال عليه السلام : لعله استقلها ، يا غلام سق اليه البغلة .

وله فيه عليه السلام :

قيل لي أنت أشعر الناس طـراً في المعاني وفي الكلام النبيـه
لك من جوهر القريض نظـام يثمر الـدر في يدي مجتنيـه
فلماذا تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيـه
قلت لا استطيع مـدح امـام كان جبـريل خادماً لأبيـه

عن البيهقي عن الصولي عن هارون بن عبدالله المهلبي قال : لما وصل ابراهيم بن العباس ودعبل بن علي (رض) الى الرضا وقد بويع له بالعهد ، أنشده دعبل :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصـات

وأنشده ابراهيم بن العباس :

أزال عزاء القلب بعـد التجلد مصـارع أولاد النبي محمـد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت ، قال : فأما دعبل فسار بالعشرة آلاف التي حصته الى قم ، فباع كل درهم بعشرة دراهم فتخلصت له مائة الف درهم ، واما ابراهيم فلم تزل عنده بعد أن

أهدى بعضها وفرق بعضها على أهله الى أن توفى ، فكان كفنه وجهازه منها .

ولما توفى عليه السلام رثاه دعبل بقصيدته الرائية ، وهي كبيرة جداً أولها :

تأسفت جارتي لما رأت زوَري[1] وعدت الحلم ذنباً غير مغتفر

يقول فيها :

لم يبق حي من الأحيـاء نعلمه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهـم شركاء في دمـائهم كما تشارك أيسار على جزر[2]
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبـة فعل الغزاة بأهل الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتـلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
قوم قتلتم على الاسـلام أولهـم
حتى اذا استمكنوا جازوا على الكفر
أبنـاء حرب ومروان واسرتهم بنو معيط ولاة الحقد والوغر[3]

---

(١) الزور : الميل والانحراف .

(٢) الايسار : المجتمعون على الميسر ، أي القمار . والجزر : النياق والآبال .

(٣) الوغر التوقد من الغيظ .

أربع [٤] بطوس على قبر الزكي بها

ان كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما

على الزكي يقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رهن بما كسبت

له يداه فخذ ما شئت أو فذر

ولابن المشيع المدني يرثيه :

يا بقعة مات بها سيد ما مثله في الناس من سيد

مات الهدى من بعده والندى وشمر الموت به يقتدي

كان لنا غيثاً به نرتوي وكان كالنجم به نهتدي

ان علياً بن موسى الرضا قد حل والسؤدد في ملحد

يا عين فابكي بدم بعده على انقراض المجد والسؤدد

علي بن احمد الخوافي :

يا أرض طوس سقاك الله رحمته

ماذا حويت من الخيرات يا طوس

---

(٤) أربع : انتظر وقف .

طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها
شخص ثوى بسنآباد مرموس [١]
شخص عزيز على الاسلام مصرعه
في رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبر انك قبر قد تضمنه
علم وحلم وتطهير وتقديس
فافخر بأنك مغبوط بجثته
وبالملائكة الأبرار محروس
في كل عصر لنا منكم امام هدى
فربعه آهل منكم ومأنوس
امست نجوم سماء الدين آفلة
وظل أسد الشرى قد ضمها الحيس [٢]
غابت ثمانية منكم وأربعة
يرجى مطالعها ما حنت العيس

---

(١) مرموس : مدفون في رمسه ، والرمس : القبر مستوياً مع وجه الأرض .

(٢) الشرا : جبل بتهامة موصوف بكثرة السباع ، أو مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل . والحيس : الفناء والهلاك .

حتى متى يظهـر الحق المنير بكم
فالحق في غيركم داج ومطموس

وقال أبو فراس :

باؤا بقتـل الرضا من بعـد بيعته
وابصروا بعض يوم رشدهم فعموا
عصابة شقيت من بعـد ما سعدت
ومعشر هلكوا من بعـد ما سلموا
لا بيعـة ردعتهم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا رحم

وأكثر دعبل من مراثيه ، منها :

يا حسـرة تتردد وعبرة ليس تنفـد
على علي بن موسى بن جعفر بن محمد

ومنها :

الا أيهـا القبر الغريب محـله بطوس عليك الساريات هتون[1]
شككت فما أدري امسقي شربة فأبكيك أم ريب الردى فيهون

ومنها :

ألا ما لعيني بالدموع استهلتِ ولو نفدت ماء الشئون لقرتِ

(١) الساريات جمع السارية ، وهي السحب التي تأتي ليلاً ، والهتون الصب .

على مَن بكته الأرض واسترجعت له

رؤوس الجبال الشامخات وذلتِ

وقد أعولت تبكي السماء لفقده وأنجمها ناحت عليه وكلتِ

فنحن عليه اليوم أجدر بالبكا لمرزئة عزّت علينا وجلتِ

وما خير دنيا بعد آل محمد اذاً لا نباليها اذا ما اضمحلتِ

(الطرف التاسع)

في قطرة من بحار سخاء بل معجزات باقي الائمة عليهم السلام.

(اولهم) الامام أبو جعفر محمد التقي الجواد صلوات الله وسلامه عليه . عاش خمساً وعشرين سنة كما في أكثر الروايات ، ومع انه (ع) لم تطل أيامه ظهرت له من المعجزات ما يكل القلم عن احصائها ومن الكرامات ما يخرس اللسان عن تعدادها .

عن محمد بن سهل بن اليسع قال : كنت مجاوراً بمكة فصرت الى المدينة فدخلت على أبي جعفر الثاني (ع) وأردت أن أسأله عن كسوة يكسونيها ، فلم يتفق ان اسأله حتى ودعته، فاذا رسول ومعه ثياب في منديل فانتهى الي وقال : مولاك بعث اليك بهذا ، واذا ملاءتان . قال احمد بن محمد : فقضى الله اني كفنته حين مات فيهما.

عن اسماعيل الهاشمي قال : جئت الى أبي جعفر (ع) يوم عيد فشكوت اليه ضيق المعاش ، فرفع المصلى وأخذ من التراب

سبيكة من ذهب فأعطانيها .

عن احمد بن حديد قال : خرجت مع جماعة حجاجاً فقطع علينا الطريق ، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر (ع) في بعض الطريق فأتيته الى المنزل فأخبرته بالذي أصابنا ، فأمر لي بكسوة وأعطاني دنانير وقال : فرقها على أصحابك على قدر ما ذهب ، فقسمتها بينهم فاذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر .

(الثاني) الامام أبو الحسن على النقي الهادي صلوات الله وسلامه عليه . قال : ابن الصباغ المكي المالكي في الفصول المهمة : قال بعض أهل العلم : فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام قد ضرب على الحرة قبابه ، ومد على نجوم السماء أطنابه ، فما تعدّ منقبة الا واليه نحيلتها ، ولا تذكر كريمة إلا وله فضيلتها ، ولا تورد محمدة الا وله تفصيلها وجملتها ولا تستعظم حالة سنية الا وتظهر عليه أدلتها ، استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه ، ومجد حكم فيه على طبعه الكريم ، فكانت نفسه مهذبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة وخلاله فاضلة ومباره الى العفات واصلة وزَموع المعروف [1] بوجود جوده عامرة ، على وتيرة نبوية وشنشنة علوية ونفس زكية ،

(١) أي المعروف السريع .

وهمة علية لا يقاربها احد من الأنام ولا يدانيها ، وطريقة حسنة مرضية لا يشاركه خلق ولا يطمع فيها — (انتهى) .

قال ابن شهراشوب : دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد وأحمد ابن اسحاق الاشعري وعلى بن جعفر الهمداني على ابي الحسن العسكري عليه السلام ، فشكى اليه احمد بن اسحاق ديناً عليه فقال : يا عمرو — وكان وكيله — ادفع اليه ثلاثين الف دينار ، والى على بن جعفر ثلاثين ألف دينار ، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار ، فهذه معجزة لا يقدر عليها الا الملوك وما سمعنا بهذا العطاء .

وقال اسحاق الجلاب : اشتريت لأبي الحسن (ع) غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسمها في أقاربه ثم استأذنته في الانصراف فكتب الي تقيم غداً عندنا ثم انصرف ، فبت ليلة الأضحى في رواق له ، فلما كان وقت السحر أتاني فقال : يا أبا اسحاق قم ، فقمت ففتحت عيني وأنا على بابي ببغداد ، فدخلت على والدي فقلت : عرفت بالعسكر وخرجت ببغداد الى العيد — انتهى .

وفي الينابيع نقلا عن صواعق ابن حجر عند ذكر الهادي (ع) : وهو وارث أبيه علماً وكمالاً وسخاءاً ، ومن ثم جاء أعرابي من حوالي الكوفة وقال : اني من المتمسكين بولائك وولاء اجدادك وعلي دين لم أقصد بقضائه سواك . فقال : قف هنا ، ثم أرسل

المتوكل اليه ثلاثين ألفاً فأعطى كلها للأعرابي ، فقال الاعرابي : يابن رسول الله ان عشرة آلاف تكفي لقضاء ديني ، فأبى ان يسترد من الثلاثين ألف شيئاً ، فانصرف الأعرابي وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته — انتهى .

عن داود بن القاسم الجعفري قال : دخلت عليه بسر من رأى وأنا اريد الحج لأودعه ، فخرج معي ثم انه نزل فخط بيده خطة شبيهة بالدائرة ثم قال لي : يا عم خذ ما في هذه يكون في نفقتك وتستعين به على حجك ، فضربت بيدي فاذا سبيكة ذهب ، فكان فيها مائتا مثقال .

وكان البحتري أبو عبادة ينشد هذه القصيدة لأبي الغرث أو الغوث اسلم بن مهوز أو محرز (*) في مدح الهادي (ع) :

ولهَتْ الى رؤياكم ولَه الصادي
يُذاد عن الورد الروي بذواد (١)

(*) أبو الغوث أسلم بن مهوز المنبجي شاعر مداح لآل البيت عليهم السلام وكان البحتري يمدح الملوك والوزراء وأعيان المملكة فقال أبو الغوث في مدح ائمة سامراء هذه القصيدة .

(١) وله : حزن . والصادي : الصابر على العطش . ويذاد يبعد .

محلى عن الورد اللذيذ مساغه (٢)

اذا طـاف وُرّاد به بعـد وِرّاد

فأعلمت فيكم كل هَوجاء جَسرة

ذمُول السرى يقتادنى كل مقتاد (٣)

أجوب بها بَيد الفلا وتجوب بي

اليك ومالي غير ذكرك من زاد

فلمـا تراءت سر مرا تجشمت

اليك تعوم الماء في مُفعم الوادي (٤)

فأدت الينـا تشتكي ألم السرى

فقلت اقصري فالعوم ليس بمنتـاد

---

(٢) المحلى : المطرود عن الماء .

(٣) الهوجاء : الناقة المسرعة التي كأن بها هوج أي حمق . وجسرة : الناقة الجسورة التي تقدم على سلوك الأوعار وقطعها . وذمول السري : بطيئة السير من شدة التعب .

(٤) سر مرا : مخفف سر من رأى وهي مدينة سامراء . وتجشمت : تكلفت على مشقة . وتعوم الماء : تسبح في الماء . والمفعم : المليء .

اذا ما بلغت الصادقين بني الرضا
فحسبك من هـاد يشير الى هادي
مقاويل ان قالوا بها ليل ان دعوا (٥)
وفاة بميعـاد كفـاة بمـرتاد
اذا أوعدوا أعفوا وان وعدوا وفوا
فهم أهل فضل عنـد وعد وايعاد
كرام اذا ما انفقوا المـال أنفدوا
وليس لعـلم انفقوه من انفـاد
ينابيع عـلم الله أطواد دينـه
فهـل من نفـاد ان علمت لأطواد
نجوم متى نجم خبـا مثله بدا
فصلى على الخابي المهيمن والبادي
عبـاد لمولاهم موالى عبـاده
شـهود عليهم يوم حشر واشـهاد
هم حجج الله اثنتى عشرة متى
عددت فثاني عشر هم خلف الهادي

---

(٥) بهاليل : جمع بهلول ، وهو الضاحك والسيد الجامع لكل خير .

بميلاده الانباء جاءت بشيرة فأعظم بمولود وأكرم بميلاد

والقصيدة طويلة على ما قيل ولم نعثر منها الا على هذه الأبيات في كتاب المقتضب لابن عياش .

ولمحمد بن اسماعيل الصيمري [1] قصيدة يرثي بها مولانا أبا الحسن الثالث عليه السلام ويعزي ابنه أبا محمد أولها :

الارض خوفاً زلزلت زلزالها وأخرجت من جزع أثقالها

ثم يعدد الائمة وتكملتهم بالخلف عليهم السلام وذلك قبل ميلاده عليه السلام :

عشر نجوم أفلت في فلكها ويطلع الله لنا أمثالها

بالحسن الهادي أبي محمد تدرك اشياع الهدى آمالها

وبعده من يُرتجى طلوعه يظلّ جوّاب الفلا جوالها

ذو الغيبتين الطول الحق التي لا يقبل الله من استطالها

يا حجج الرحمن احدى عشرة آلت بثاني عشرها مآلها

(الثالث) الامام ابو محمد الحسن العسكري (ع) .

قال ابن الصباغ المالكي : مناقب سيدنا أبي محمد الحسن

---

(١) محمد بن اسماعيل بن صالح الصيمري كان أديباً شاعراً من أصحاب ابي الحسن الثالث عليه السلام ، توفي حدود سنة ٢٥٥ هجرية .

العسكري دالة على انه السري بن السري ، فلا يشك في امامته احد ولا يمتري ، واعلم انه متى بيعت مكرمة فسواه بائعها وهو المشتري واحد زمانه من غير مدافع ونسيج وحده من غير منازع ، وسيد أهل عصره وامام أهل دهره ، أقواله سديدة وأفعاله حميدة ، فارس العلوم الذي لا يجارى ومبين غوامضها فلا يحاول ولا يمارى ، كاشف الحقائق بنظره الصائب مظهر الدقائق بفكره الثاقب المحدث في سره بالأمور الخفيات الكريم الاصل والنفس والذات — انتهى .

ابن شهراشوب عن اسماعيل بن محمد العباسي قال : شكوت الى أبي محمد (ع) الحاجة وحلفت انه ليس عندي درهم فما فوقه فقال : اتحلف بالله كاذباً وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي هذا دفعاً عن العطية اعطه يا غلام ما معك ، فأعطاني مائة دينار ، ثم أقبل علي فقال : انك تحرم الدنانير التي دفنتها في أحوج ما تكون اليها ، فاضطررت وقتاً ففتشت عنها فنظرت فاذا ابن عم لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب .

وذكر هذه القصة ابن الصباغ بزيادة : منها اني فتشت عن الدنانير بعد قوله ذلك فوجدتها ودفنتها في موضع آخر من حيث لا يطلع احد ، ولما احتجت اليها اذا ابن لي قد أخذها وهرب .

ابن شهراشوب قال ابو جعفر العمري : ان أبا طاهر بن بلال حج فنظر الى علي بن جعفر الهمداني وهو ينفق النفقات العظيمة ، فلما انصرف كتب بذلك الى أبي محمد (ع) ، فوقّع في رقعته قد أمر ناله بمائة الف دينار ثم أمر نالك بمثلها ، وهذا يدل على ان كنوز الارض تحت ايديهم — انتهى .

وفيه عن ابي هاشم قال : كنت مضيقاً فأردت ان اطلب منه عليه السلام معونة فاستحييت ، فلما صرت الى منزلي وجه الي بمائة دينار وكتب الي : اذا كانت لك حاجةفلا تستحي ولا تحتشم واطلبها فانك ترى ماتحب انشاء الله .

عن محمد بن علي بن ابراهيم قال : ضاق بنا الأمر فقصدنا ابا محمد (ع) لما وصف من سماحته ، فقال ، لي أبي وهو في الطريق : ما احوجنا الى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم مائتان للكسوة ومائتان للدقيق ومائة للنفقة ، وقلت في نفسي : ليته أمر لي بثلاثمائة درهم مائة اشتري بها حماراً ومائة للنفقة ومائة للكسوة ، فلما وافينا الباب خرج الينا غلامه فناول أبي صرة وقال: هذه خمسمائة مائتان للكسوة ومائتان للدقيق ومائة للنفقة ، وأعطاني صرة وقال : هذه ثلاثمائة اجعل مائة في ثمن حمار ومائة للكسوة ومائة للنفقة .

وعن ابي هاشم الجعفري قال : شكوت الى أبي محمد (ع) الحاجة فحك بسوطه الأرض ، فأخرج منها سبيكة فيهـا نحو الخمسمائة فقال : خذها يا أبا هاشم واعذرنا .

(الطرف العاشر)

في نبذة من سخاء عبدالله بن جعفر الطيار [١] وان كان لبعضها تعلق بالحسنين (ع) ، ونبذة من سخاء ابني عباس [٢] .

خرج الحسنان وعبدالله بن جعفر وأبو دحية الانصاري من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر ، فلجأوا الى خباء اعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة ، فلما ارتحلوا قالوا للأعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا ، فاحتاج الاعرابي بعد سنين فأتى المدينة فلقى الحسن (ع) فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ، ثم أتى الحسين (ع) فقال : كفانا

(١) كان عبدالله بن جعفر بن ابي طالب الطيار أحد أجواد الاسلام المشهورين وكان يلقب بالجواد وبحر الجود ، وكان يقال له ابن ذي الجناحين ، له قضايا كثيرة تدل على منتهى جوده وكرمه ومبلغ عطفه على الفقراء والمحوجين ، توفى بالمدينة سنة ٨٠ هـ وله تسعون سنة ، وقيل سنة ٨٤ وله ثمانون سنة .

(٢) المراد بـ « ابني عباس » بن عبدالمطلب عم النبي (ص) .

أبو محمد مؤنة الابل فأمر له بألف شاة ، ثم أتى عبدالله بن جعفر فقال : كفاني اخواني الابل والشياة فأمر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية فقال : والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بابلك فأوقرها لك تمراً ، فلم يزل اليسار في عقب الأعرابي من ذلك اليوم .

وعن أبي الحسن المدائني — واظن ان هذه غير تلك — انه قال : خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها ، فقال أحدهم : هل من شراب ؟ قالت : نعم . فأناخوا اليها وليس لها إلا شويهة فقالت : احلبوها واشربوا لبنها ، ففعلوا ثم قالوا : هل من طعام ؟ قالت : لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى اهيىء لكم ما تأكلون ، ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا ، فلما أرادوا الانصراف قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين ألمي بنا فانا صانعون اليك خيراً ، فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة ، فغضب وقال : ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ، ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة لدخول المدينة ، فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان بثمنه ، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن (ع) على باب داره

فعرف العجوز فبعث اليها غلامه فدعى بها فقال لها : يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت : لا . قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا . فقالت : بأبي أنت وأمي ، ثم اشترى لها ألف شاة وأمر لها بألف دينار ، ثم بعثها الى الحسين (ع) فأمر لها بمثل ذلك ، وبعثها الى عبدالله فأمر لها بمثل ذلك ، فرجعت العجوز الى زوجها وهي من أغنى الناس .

وسمّن رجل بهيمة ثم خرج ليبيعها ، فمر بعبدالله بن جعفر فقال : يا صاحب البهيمة اتبيعها ؟ فقال : لا ولكنها هي هبة لك ، ثم تركها وانصرف الى بيته ، فلم يلبث الا يسيراً واذا بالحمالين على بابه عشرين نفراً عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحماً وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلاً وواحداً يحمل مالاً ، فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه .

وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم ، فقال له رجل : مثل هذا الاسود تعطيه هذا المال ؟ فقال : ان كان أسوداً فان ثناءه أبيض ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وهل اعطيناه الا ثياباً تبلى ومالاً يفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناءاً يبقى .

ولما قتل مصعب بن الزبير وكان عبد الله بن قيس الرقيات يقاتل معه في جيشه هرب فلحق بعبدالله بن جعفر فتشفع له الى

عبدالملك فشفعه ، فأنشأ يقول :

أتيناك نثني بالتي أنت أهله عليك كما أثنى على الأرض جارها

تقدت بي الشهباء [1] نحو ابن جعفر

سواء علينا ليلها ونهارها

تزور فتى قد يعلم الناس انه تجود له كف قليل غرارها

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر لكان قليلا في دمشق قرارها

ودخل عليه زياد الأعجم يسأله في خمس ديات فأعطاه ، ثم عاد فسأله في عشر ديات فأعطاه ، فأنشأ يقول :

سألناه الجزيل فما تلكا [1] وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما أعود اليه الا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وفي العقد الفريد : ومن جود عبدالله بن جعفر انه اعطى امرأة سألته مالاً عظيماً ، فقيل له : انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير ! فقال : ان كان يرضيها اليسير فاني لا أرضى الا بالكثير ، وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي .

---

(١) تقدت الناقة : هزلت بعض الهزال . والشهباء : الناقة التي يختلط لونها بلون آخر .

(١) تلكأ : أبطأ .

ومر عبدالله بن جعفر على الحزين وعليه مقطعات خز في غداة باردة ، فقام اليه وقال :

أقو ل له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال : وعليك السلام ، فقال :

وأنت المهـذب من غالب وفي البيت منها الذي تذكر

فقال : كذبت يا عدو الله ذاك رسول الله (ص) ، فقال :

فهذي ثيابي قـد أخلقت وقـد عضني زمن منكر

فقال : هاك ثيابي ، فأعطاه ثيابه .

ووقف اعرابي على مروان بن الحكم ايام الموسم بالمدينة فسأله فقال : يا اعرابي ما عندنا ما نصلك ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابي باب عبدالله بن جعفر فاذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعه وسيف معلق ، فخرج عبدالله من داره وأنشأ الأعرابي يقول :

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صـلاتهم للمسلمين طهور

أبا جعفر ان الحجيج تراحلوا وليس لرحلي فاعلمن بعير

أبا جعفر ضن الامير بمـاله وأنت على ما في يديك أمير

وأنت امرء من هاشم في صميمها

اليك يصير المجـد حيث تصير

فقال : يا أعرابي سار الثقل فدونك الراحلة بما عليها واياك ان تخدع عن السيف فاني أخذته بألف دينار ، فأنشأ الاعرابي يقول:

حباني عبدالله نفسي فداؤه ... بأعيس موّار سباط مشافره[1]

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليل داج عساكره[2]

وكل امرء يرجى نوال ابن جعفر ... سيجري له باليمن والبشر طائره

فيا خير خلق الله نفساً ووالداً ... وأكرمه للجارحين يجاوره

سأثني بما او ليتني يابن جعفر ... وما شاكر عرفا كمن هو كافره

وأتى الفرزدق عبدالملك بن مروان يستميحه ، فأبى أن يعطيه شيئاً ، فقال له عبدالله بن جعفر : ما كنت تؤمل ان يعطيك ؟ قال : ألف دينار في كل سنة . قال : فكم تؤمل ان تعيش ؟ قال : أربعين سنة . قال : يا غلام علي بالوكيل ، فدعاه فقال : اعط الفرزدق أربعين ألف دينار .

وأتاه شاعر فقال :

---

(١) حباني : اعطاني ووهب لي . والأعيس : جمع العيس ، وهي كرام الابل . والموار : سهل السير . وسباط مشافره : طويلة مشافره ، والمشافر من البعير كالشفات من الانسان .

(٢) الداج : المجد في السير ، وهو كناية عن اقدام وشجاعة العساكر .

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخز دراعة
شكوت الى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفري ومن كفه الدهر نفاعة
ومن قال للجود لا تعدني فقال لك السمع والطاعة

فدفع له دراعته الخز ثم قال له : كيف لم تر جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار ؟ فقال له : دعني اغفى اغفاءة اخرى لعلي أرى ذلك ، فضحك وقال : يا غلام ادفع اليه جبتي الوشى .

وقال ابن هرمة [1] مادحا له من أبيات :

ولكن لعبدالله فأنطق بمدحة تجيرك من عسر الزمان المطبق
ترى الخير يجري في أسرة وجهه كما لألأت في السيف جرية رونق
كريم اذا ما شاء عدله ابا له نسب فوق السماك المحلق
فمن مثل عبدالله او مثل جعفر ومثل ابيك الأريحي المرهق

وجلب رجل سكرا الى المدينة فكسد عليه ، فقيل له : لو أتيت ابن جعفر قبله منك واعطاك الثمن ، فأتى اليه فأخذه منه

---

(١) ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ابن هذيل القرشى الفهرهي المدني ، شاعر مفلق خضرمي ، وكان ممن اشتهر بالاقطاع الى الطالبيين واكثر من مدائحهم ورثائهم .

وأمر به فنشر ، وقال للناس : انتهبوا . فلما رأى الرجل الناس ينتهبون قال : جعلت فداءك آخذ معهم ؟ قال : دونك ، فجعل الرجل يهيل في غرائره ثم قال له : كم ثمن سكرك ؟ قال : اربعة آلاف ، فأمر له بها ، فقال الرجل : ما يدرك هذا وما يعقل لأطلبنه بالثمن ثانيا ، فغدا عليه وقال : ثمن سكري فأعطاه اربعة آلاف ، ثم غدا عليه وقال : اصلحك الله ثمن سكري ، فأعطاه اربعة آلاف ، فلما ولى قال له عبدالله : يا أعرابي هذه تمام اثنى عشر ألف ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله ، وانشأ يقول :

لاخير في المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدع
تخال فيه اذا حاورته بلهـــا من جوده وهو وافي العقل والورع

وخرج يوما الى ضيعة له ، فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام اسود ، فأتى بقوته ثلاثة اقراص فدخل كلب فدنى من الغلام ، فرمى اليه بقرص ثم الثاني ثم الثالث وعبدالله ينظر اليه ، فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ قال : ان أرضنا هذه ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان أرده . قال : فما انت صانع اليوم ؟ قال : اطوى يومي هذا . فقال عبدالله بن جعفر : ألام على السخاء وهذا اسخى مني . فاشترى الحائط وما فيه

من النخيل والآلات ، واشترى الغلام ثم اعتقه ووهبه الحائط بما فيه . فقال الغلام : ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله . فقال عبد الله : يجود هذا وأبخل انا لا كان ذلك أبدا .

ووافاه رجل وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له ، فقال له : يابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله وقال : ضع رجلك واستو على الناقة وخذ مافي الحقيبة ، وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار .

ودخل عبد الله بن أبي عمارة على نخاس يعرض قيانا للبيع ، فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشتري ، فشبب بذكرها ، فانتهى خبره الى عبدالله بن جعفر ، فحج في تلك السنة وبعث الى مولى الجارية فأشتراها منه بأربعين ألف درهم وامر بها فزينت وبلغ الناس قدومه ، فدخلوا عليه فقال : مالي لا ارى ابن عمارة زائرا ؟ فأخبر بذلك فأتى مسلما ، فلما ، أراد ان ينهض استجلسه ثم قال : ما فعل بك حب فلانة ؟ فبالغ ، فقال : أتعرفها ؟ وأمر أن تخرج اليه وقال له ، انما اشتريتها لك ووالله ما دنوت منها ، فشأنك بها بارك الله لك فيها ، فلما ولى قال : ياغلام احمل اليه مائة ألف درهم .

(فى نبذة من سخاء ابني عباس)

قدم عبدالله بن عباس على معاوية يوما ، فأهدى اليه من

هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له : هل في نفسك منها شيء ؟ فقال : نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف ، فضحك عبدالله وقال : خذها فهي لك . قال : جعلت فداءك اخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيحقد علي . قال : فأختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا . فقال الحاجب : والله هذه الحيلة في الكرم اكثر من الكرم .

وأتاه رجل وهو بفناء داره فقال : ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها ، فقال : مايدك ؟ قال : رأيتك يوما واقفا بفناء زمزم وغلامك يمنح لك والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائي حتى شربت . فقال : أجل اني لأذكر ذلك ، ثم قال لغلامه: ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . فقال : ادفعها اليه وما أراها تفيء بحق يده .

وجاءه رجل من الانصار فقال له : يابن عم محمد (ص) انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبريكا بك ، وان أمه ماتت . فقال له : بارك الله لك في الهبة وآجرك على المصيبة ، ثم دعى بوكيله وقال له . انطلق الساعة فاشتر للمولود

جارية تحضنه وادفع لأبيه مائتي دينار فينفقها على تربيته • ثم قال للأنصاري : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة • فقال الانصاري : جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب •

« يقول جامع الكتاب » واعلم انه اضطرب هنا نقل المؤلفين، فانهم ينسبون هذه الحكايات تارة الى عبدالله بن عباس وأخرى الى عبيدالله بن عباس — والله اعلم بالصواب •

قال في العقد الفريد : ومن جود عبيد الله بن عباس انه اول من فطر جيرانه ، واول من وضع الموائد على الطرق ، واول من حيا على طعامه ، وأول من انهبه • وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء اطعمت حامضا وحلوا ولحما تامكا وممزعا (١)

وانت ربيع لليتامى وعصمة اذا المحل من جو السماء تطلعا

ابوك ابو الفضل الذي كان رحمة وغوثا ونورا للخلائق اجمعا

وأتاه سائل وهو لايعرفه ، فقال له : تصدق على فاني نبئت ان عبيدالله بن عباس اعطي سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال له : واين انا من عبيدالله ؟ قال : اين انت منه في الحسب ام كثرة المال • قال : فيهما • قال : أما الحسب في الرجل فمروءته ، واذا

(١) تامكا : سمينا • وممزعا : مقطعا •

شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا ، فأعطاه ألفي درهم واعتذر اليه من ضيق الحال . فقال له السائل : ان لم تكن عبيدالله بن عباس فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك امس ، فأعطاه ألفا آخر .

وقدم معن بن اوس الشاعر المشهور مكة على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان فأقام يومه فلم يطعم شيئا ، حتى اذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس [1] هرم هزيل فقال : كلو امن هذا — وهم نيف وسبعون رجلا — فغضب معن وخرج من عنده ، واتى عبدالله بن عباس فقراه [2] وحمله وكساه ، ثم اتى عبدالله ابن جعفر فأعطاه حتى ارضاه واقام عنده ثلاثة ايام ، ثم رحل وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس :

ظللنا بمستن الرياح غـــدية الى ان تعالى اليوم في شر محضر
لدى ابن الزبير جالسين بمنزل من الخير والمعروف والرفد مقفر
رمانا ابو بكر وقد طال يومنـــا بتيس من الشاء الحجازي أعفر [3]

(١) التيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول .

(٢) قراه : اضافه .

(٣) الاعفر : الظبى الذي يعلو بياضه حمرة ، قصيرة العنق ، وهو أضعف الظباء عدوا ، يسكن في الاراضي الصلبة .

وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة وسبعون انسانا فيالؤم مخبر
فقلت له لاتقربن فأما منا جفان ابن عباس العلاوابن جعفر
وكن امنا وارفق بتيسك انه له اعنز ينزو عليها وايسر

ومر عبدالله بن عباس بمعن بن اوس يوما وقد كف بصره فقال له : يامعن كيف حالك ؟ فقال : ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين . قال : وكم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها اليه ، ثم مر به من الغد فقال له : كيف أصبحت يامعن فقال :

اخذت بعين المال حتى نهكته وبالدين حتى ما اكاد أدان
وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى
ورد فلان حاجتي وفلان

فقال له : انا بعثنا لك بالامس . فقال : نفدت ، فبعث اليه بعشرة آلاف اخرى ، فقال معن يمدحه :

وانك فرع من قريش وانما تمج الندى منها البحور الفوارع
ثوو اقادة للناس بطحاء مكة لهم وسقايات الحجيج الدوافع
فلما دعوا للموت لم تبك منهم على حادث الدهر العيون الدوامع

وفي الاستيعاب لعبد البر : روى ان عبدالله بن صفوان

ابن أمية مر يوما بدار عبدالله بن عباس بمكة فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه ، ومن بدار عبيد الله بن عباس فرأى جماعة ينتابونها للطعام ، فدخل ، على ابن الزبير فقال : اصبحت والله كما قال الشاعر :

فان تصبك من الايام قارعة لم نبك منك على دنيا ولا دين

فقال : ماذاك يا اعرج ؟ فقال : هذان ابنا عباس احدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس ، فما ابقيا لك مكرمة ؟ فدعى عبدالله بن مطيع وقال : انطلق الى ابني عباس فقل لهما : يقول لكما امير المؤمنين أخرجا عني انتما ومن اصغى اليكما من أهل العراق والا فعلت وفعلت . فقال عبدالله بن عباس لابن الزبير : والله ما يأتينا من الناس الا رجلان رجل يطلب فقها ورجل يطلب فضلا ، فأي هذين تمنع ؟ !

وكان بالحضرة ابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني [1] فجعل يقول :

---

(١) ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي المكي ، كان من خيار أصحاب علي عليه السلام ، وأدرك ثمان سنين من حياة النبي (ص) وكان فاضلا عالما حاضر الجواب فصيحا ، مات سنة ١١٠ على الصحيح .

لادرّدرّ الليالي كيف تضحكنا
منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الايام من غير
في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا
فقها ويكسبنا أجرا ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة
جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما
ننال منها الذي نبنى اذاشينا
ان النبي هو النور الذي كشطت
به عمايات ماضينا وباقينا
ورهطه عصمة في دينه لهم
فضل علينا وحق واجب فينا
ففيم تمنعنا منهم وتمنعهم
منا وتؤذيهم فينا وتؤذينا
ولست انت بأولاهم به رحما
يا بن الزبير ولا اولى به دينا

ومما ينسب الى ابن عباس هذه الأبيات :

اذا طارقات الهم ضاجعن الفتى
واعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها
سواى ولامن نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه عن خناقه
وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضل علي بظنه
بي الخير اني للذى ظن شاكر

(لؤلؤة)

وفيها طرفان

(الطرف الاول)

في شيء من فضل الكرم ونبذة من أنباء كرماء العرب •

عن النبي (ص) انه قال : المعروف يقي مصارع السوء •

وعنه (ص) : ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ، ويبغض سفاسفها •

وعنه (ص) : الرجال اربعة : سخي ، وكريم ، وبخيل ، ولئيم • فالسخي يأكل ويعطي ، والكريم الذي لا يأكل ويعطي ، والبخيل الذي يأكل ولا يعطي ، واللئيم الذي لا يأكل ولا يعطي •

قال بعضهم :

حسن الفعال من الصلصال مقصود (١)

والمرء بالفعل مذموم ومحمود

فانما يرفع الانسان أربعة

العلم والحلم والاحسان والجود

---

(١) الصلصال : الطين الحر خلط بالرمل ، وقيل الطين مالم يجعل خزفا •

يقال : من قرب بره بعد ذكره ، قال بعضهم •

ان المكـــارم كلهـا حسن والبذل أحسن ذلك الحسن
كم عارف بي لست أعرفـه ومخبر عني ولـم يرني
يأتيهم خبري وان بعـــدت داري وبوعد عنهم وطني
اني لحر المـــال ممتهـن ولحر عرضى غـير ممتهن

بعض الحكماء : من جاد ساد ، ومن ساد قاد ، ومن قاد ملك العباد •

وعن علي عليه السلام : يسود المرء قومه بالاحسان اليهم •

وقيل : من ليس له أحسان ليس له : أخوان •

البستي :

من جاد بالمال مال الناس قاطبة اليه والمـال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له على الحقيقة أخوان وخلان

يقال : من هان عليه المال توجهت اليه الآمال • وقيل للاسكندر : لم لاتكنز الاموال كما كانت تفعل الملوك ؟ فقال : كنوزي أصحابي ، اكنز الاموال فيهم لا في البيوت •

وقيل للحسن بن سهل ــ وكان كثير العطاء ــ : لاخير في السرف • فقال : لاسرف في الخير •

قال الشاعر :

ذهـاب المال في حمـد وأجر ذهاب لايقال له ذهـاب

وقال ابن عباس لابن اخيه : افضل العطية ما اعطيت الرجل قبل المسألة ، فاذا سألك فانما تعطيه ثمن وجهه حين بذله لك .

قال الشاعر :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤ اله عوضا وان نال الغنى بسؤال

فاذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

وقال بعض العرب لولده : يابني لاتزهدن في معروف فأن الدهر ذو صروف ، فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا مالديه ، وكن كما قال القائل :

وعد من الرحمن فضلا ونعمة عليك اذا ماجاء للخير طالب

ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا فانك لاتدري متى انت راغب

قال بعضهم : قدمت المدينة فأتيت الى منزل ابراهيم بن هرمة ، فاذا بنية له صغيرة تلعب بالطين ، فقلت لها: مافعل ابوك ؟ فقالت : مالنا به علم منذ مدة . فقلت : انحري لنا ناقة فأنا اضيافك . قالت : والله ما عندنا . قلت : فشاة . قالت : والله ما عندنا . قلت : فدجاجة . قالت : والله ماعندنا . قلت : فبيضة . قالت : والله ماعندنا . قلت : فباطل ما قال ابوك :

كم ناقة قد وجأت منحرهـا بمستهل الشؤبوب او جمل

قالت : فذلك الفعل من أبي هو الذي أصارنا الى ان

ليس عندنا شيء .

بعض الكرام :

لايألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق

وزار أعرابي رئيسا فحجبه فكتب اليه :

اذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فأجابه برقعة ومعها صرة فيها خمسمائة دينار :

اذا كان الكريم عديم مال ولم يعذر تعلل بالحجاب

يقال : الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه . لبعضهم :

ولم أركا لمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

آخر :

ابيت خميص البطن عريان طاويا وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى
وامنحه فرشى وافترش الثرى واجعل ستر الليل من دونه لبسى
حذار أحاديث المحافل في غد اذا ضمنى يوما الى صدر رمسى

وكان العرب تسمى الكلب « داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر » لما يجلب من الاضياف بنباحه ، والضمير الغريب، وكانوا اذا أشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي الاضياف على نباحها .

ومن كرماء العرب قيس بن سعد

وقفت عليه امرأة وقالت : اشكو اليك قلة الجرذان . فقال : ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا .

وقيل له : هل رأيت قط اسخى منك ؟ قال : نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له : نزل بنا ضيفان فجاء زوجها بناقة فنحرها ، فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال : شأنكم . فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل . فقال : اني لا أطعم ضيفاني البائت ، فبقينا عنده ايام والسماء تمطر وهو يفعل كذلك ، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة : اعتذري لنا اليه ومضينا ، فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام اعطيتمونا ثمن قرانا . ثم انه لحقنا وقال : خذوها والاطعنتكم برمحي هذا ، فأخذناها وانصرفنا .

واتاه رجل فوجده نائما فقالت له جارية لقيس : ماحاجتك ؟ فقال : ابن سبيل . فقالت له الجارية أحاجتك أهون من ايقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار مافي دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك ،

فلما اتتبه قيس اخبرته الجارية بما فعلت فأعتقها .

ولما مرض قيس استبطأ أخوانه في العيادة وسأل عنهم فقيل له : انهم يستحيون ممالك عليهم من الدين . فقال : أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة . ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو في حل ، فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد .

وكان مالك بن القشير من أجواد الجاهلية ، أنهب الناس أمواله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله ، فأنشأ يقول :

ياخال ذرني ومالي مافعلت به ... وخذ نصيبك منه انه مودي
فلن اطيعك الا أن تخلدني ... فأنظر بكيدك هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشتري الا بمكرمة ... ولن اعيش بمال غير محمود

ومن أجواد الجاهلية خالد بن عبيدالله

جاءه بعض الشعراء يوما ورجله في الركاب يريد الغزو ، فقال له : اني قلت فيك بيتين من الشعر . فقال : في مثل هذا الحال . قال : نعم . قال : هاتهما ، فأنشد يقول :

يا واحد العرب الذي ... ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر ... ما كان في الدنيا فقير

فقال : يا غلام اعطه عشرين ألف دينار .

وكتب كلثوم بن عمرو الى بعض الكرماء .

اذا تكرهت ان تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله .

وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضربه المرض ، فقال له : يا هذا أعنى على الدهر [1] فقال لغلامه : ما بقى معك من النفقة فأدفعه اليه ، فصب في حجره أربعة آلاف درهم ، فهمّ ليقوم فلم يقدر من الضعف ، فبكى فقال له الرجل : ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك ؟ قال : لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك .

وعطش بعض الاجواد يوما في طريقه فأستقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقالت : تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام . فقال : ياغلام احمل اليها عشرة آلاف دينار . فقالت : أتسخر بي ؟ فقال ياغلام

---

(١) أي ساعدني على الدهر ، وهو كناية عن فقره وشدة حاجته .

احمل اليها عشرين ألفا . فقالت : اسأل الله العافية . فقال : ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا ، فما أمست حتى كثر خطابها .

وقصد الحطيئة [٢] علقمة بن علاثة الجعفري ، فلما وصل الى بلده وكان بحوران [٣] رأى الناس مجتمعين على قبر ، فسأل عن صاحبه فقيل علقمة ، فوقف باكيا وأنشد :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى علقته الحبائل
فان تحيى لا املل حياتي وان تمت فما في حياتي بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى الا ليال قلائل

فقام اليه ولده وقد اغرو رقت عيناه بالدموع وقال : كم أملت منه ؟ قال : مائة ناقة برعاتها . قال : هي لك مضاعفة ولا يخيب سعيك .

ومن أجواد الجاهلية اوس بن حارثة الطائي المشهور بأبن سعدي

كان بشر بن حازم الاسدي اولا يهجوه ، وكان اوس نذر لئن ظفر به ليحرقنه ، فلما تمكن منه أطلقه واحسن اليه ،

---

(٢) هو ابو مليكة جرول بن أوس العنسى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، كثير الهجأ .

(٣) حوران : ماء بنجد .

فمدحه بعدة قصائد وقال : والله لامدحت أحدا غيرك حتى أموت ، وفيه يقول :

الى اوس بن حارثـة بن لام ليقضى حاجتي فيمن قضاها
فما وطىء الثرى مثل ابن سعدي ولا لبس النعال ولا احتذاها

وكان اسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر اهل زمانه قدرا واكثرهم أدبا وافصحهم لسانا واثبتهم جنانا ، فطال عمره ونكبه دهره ، فخرج عشية فمر به عميلة الفزاري فسلم عليه وقال : ما اصارك ياعم الى ما أرى ؟ فقال : بخل مثلك بماله وصون وجهي عن مسألة الناس . فقال : والله لئن بقيت الى غد لأغيرن ما ارى من حالك ، فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة . فقالت له : لقد غرك كلام غلام في جنح ليل فبات اسيد متململا بين رجاء ويأس ، فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال . فقال : ما هذا ؟ قالوا : عملية قد قسم ماله شطرين وبعث لك بشطره ، فأنشأ يقول :

رآني على مابي عميلة فأشتكى الى ماله حالي فواسى وماهجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء أسابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسـن يافعـا له سيماء لاتشق على البصر
كـأن الثريا علقت في جبينه وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

ونزل بأبي البحتري وهب بن وهب القرشي ضيفا ، فسارع عبيده الى أنزاله وخدموه احسن خدمة وفعلوا به كل جميل ، فلما همَّ بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه ، فأنكر ذلك عليهم فقالوا : نحن انمانعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل .

ودخل طلحة بن عبدالله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال : يا أبا فراس اختر عشرا من الابل . ففعل فقال : ضم اليها مثلها ، فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال : هي لك ، فأنشأ الفرزدق يقول :

ياطلح انت أخو الندى وعقيده ... ان النـــدى مامات طلحة ماتا
ان النـــدى ألقى اليك رحاله ... فبحيث بت من المنازل باتا

ومن كرماء العرب عرابة الاوسي

أتاه رجل فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال : يا عرابة ابن سبيل ، وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال : والله ما أصبح ولا امسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا ، ولكن خذ هذين العبدين . فقال الرجل : والله ماكنت بالذي يسلبك عبديك . فقال : ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله فان شئت فخذ وان شئت فأعتق . فأخذ الرجل العبدين ومضى .

وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسؤدده انه قدم من سفره فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق ، فتحادثا فقال له عرابة : ما الذي أقدمك المدينة ياشماخ ؟ فقال : قدمتها لأمتار منها ، فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا واتحفه بتحف غير ذلك فأنشأ يقول :

رأيت عرابة الاوسى يسمو ... الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت بمجد ... تلقاها عرابة باليمين

ومر عمرو بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة ، فاذا امرأة من بني سليم على سطح تحدث جارة لها ليلا وهي تقول : لا والذي اسأله ان يخلص عمرو بن هبيرة ما كان كذا ، فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال : قد خلص الله عمرو بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا .

قال بعضهم يمدح بعض الكرام :

يلقى السيوف بنحره وبصدره ... ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبي القنا ... فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا ترأي شخص ضيف مقبل ... متسربل أثواب محل أغبر
اومى الى الكوماء هذا طارق ... نحرتني الاعداء ان لم تنحر

وحضرت امرأة من بني نمير الوفاة واهلها مجتمعون فقالت:

من ذا الذي يقول :

لعمري مارماح بني نمير بطائشة الصدور ولاقصار

فقالوا : زياد الاعجم . فقالت : أشهدكم ان له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا ، قال بعضهم: رأيت في بعض اسفاري جارية أعرابية معها جمل تبيعه ، فقلت لها : بكم تبيعينه ؟ قالت : بكذا دينار . فقلت : احسنت فتركت الجمل وولت ، فقلت : يا جارية خذي الثمن والنقص . فقالت ضاحكة : انما سألت الاحسان لا النقصان ، وان الاحسان ترك الكل .

(الطرف الثاني)

في نبذة من أخبار حاتم الطائي وممن انتهى اليه الجود في الجاهلية حتى صار يضرب بجوده المثل لاغير : حاتم، وكان شاعراً مجيدا ، وشعره يشبه جوده ، فمن شعره يخاطب به امرأته ماوى بنت عفير :

أماوى ان المـال غاد ورائـح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو أن حاتمـا ... أراد ثراء المـال كان له وفر

ولما بلغه قول المتلمس الضبعي :

قليـل المـال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد
وحفظ المـال أيسر من بغـاه ... وضرب في البلاد بغير زاد

فقال : ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل ، أفلا قال :

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه ... ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فـلا تلتمس رزقا بعيش مقتر ... لـكل غد رزق يعود جديد
ألم تر أن الرزق غادو رائـح ... وان الذي اعطاه سوف يعيد

وله أيضا :

أضاحك ضيفي قبل أنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف ان يكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

وكان اذا أشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها في بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ، وهو القائل لغلامه :

أوقد فان الليل ليل قر (١) والريح يا موقد ريح صر (٢)

حتى يرى نارك من يمر ان جلبت ضيفا فأنت حر

وكان اذا أهل رجب — وكانت مضر تعظمه في الجاهلية — نحر كل يوم عشرا .

من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه . ولم يكن حاتم يمسك شيئا ما عدا فرسه وسلاحه حتى جاد بفرسه في سنة مجدبة.

حكت ماوية امرأة حاتم قالت : اصاب البادية مجاعة ، فبتنا ليلة ليس عندنا ولا عند أهل الحي شيء ، وعلل حاتم أولاده حتى ناموا وهو أشدنا جوعا ، فنام ورققت لما به من الجوع فسكت وهو غير نائم فنظر في فناء الخباء فاذا امرأة قد اقبلت فقالت : ياحاتم اتيتك من صبيان يتعاوون كالكلاب من الجوع .

---

(١) ليل قر : ليل بارد شديد البرد .

(٢) ريح صر : شديدة الصوت او البرد .

فقال : احضري صبيانك فوالله لأشبعنهم . فقلت له : ياحاتم بماذا تشبعهم وانت وأولادك من أشد الناس جوعا ، فلما جاءت المرأة أخذ المدية وعمد الى فرسه فذبحها ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال : اقطعي واشوى وكلي واطعمي صبيانك، فلما شبعت المرأة وأولادها ايقظت اولادي فأكلوا ومضى الى الحي بيتا بيتا يقول : انهضوا عليكم بالنار ، فأجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فأكلوا الفرس كلها ولا والله ماذاقها وانه لأشدهم جوعا .

كن سخيا ولا تبالي اينما كنت فمـا الناس غير اهل السخاء
لن ينـال البخيل مجـدا ولو نال ارتقـاء الى علوا السماء

ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى ، فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال : انك قد اقرضتني ناقتك فاحتكم على . قال : راحلتين . قال لك : عشرون أرضيت ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال: لك اربعون ، ثم قال لمن بحضرته من قومه: من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة ، فأتوه بأربعين فدفعها الى الضيف

واغار قوم على طي فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم ، فقال له كبيرهم : يا حاتم هب لي رمحك ، فرمى به اليه ، فقيل لحاتم : عرضت نفسك

للهلاك ولو عطف عليك لقتلك . فقال : قد علمت ذلك ولكن ماجواب من يقول هب لي .

ومر يوما بأرض عنزة فناداه أسير فيهم يا أبا سفانة قد أكلني الاسار والقمل ، فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال : خلوا عنه وانا أقيم مكانه في قيده حتى أودى فداه ، ففعلوا فبعث خلف الفداء ولم يزل مقيدا حتى اتاه الفداء .

وأتاه رجل فقال : انه وقعت بيني وبين قومي ديات فأحتملتها في مالي وأملى فقدمت مالي وكنت أملي ، فحملها عنه .

قال اوس بن حاتم :

فان تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الاعاجم
فتى لا يزال الدهر اكبر همه فكاك أسير أومعونة غارم

وكانت زوجته ماوى تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها ، وكان لها ابن عم يقال له (مالك) فقال لها يوما : ما تصنعين بحاتم فوالله ان وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن اولاده عالة على قومك فقالت له : صدقت . فقال لها : طلقي حاتما وأنا اتزوجك وانا اكثر مالا وانا امسك عليك وعلى ولدك ، وكانت النساء في الجاهلية يطلقن الرجال وكان طلاقهن ان يحولن باب البيت ، فان كان من قبل المشرق

مثلا حولنه الى المغرب وهكـذا ، ففعلت فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده : يا عدي ما ترى ما فعلت امك ؟ فأخذ ابنه وهبط بطن واد ، فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكان عدتهم خمسين فارسا ، فبعث جاريتها الى ابن عمها مالك تقول ان اضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشيء نقريهم وانما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم . فقال للجارية : قولي لها هذا الذي أمرتك ان تطلقي حاتما لأجله . فقالت لها : اذهبي الى حاتم وقولي له ان اضيافك نزل بنا الليلة ولم يعلمو امكانك ، فجاءته فقال لبيك قريبا ، وجاء يركض بناقتين فنحرهما وماوية تصيح : هذا الذي طلقتك بسببه .

ولما مات حاتم خرج رجل من بني اسد يعرف بأبي الخيبري في نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته ، فأناخوا بقبره فقال : والله لأحلفن للعرب اني نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل ، وجعل يضرب القبر برجله ويقول :

عجل ابا سفانـة قرا كا فسوف انبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم : مالك تنادي رمة ، وباتوا مكانهم فقـام صاحب القول من نومه مذعورا فقال : ياقوم عليكم مطاياكم

فان حاتما اتاني فأنشدني :

أبا الخيبري وانت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
فماذا أردت الى رمة لدى حفرة قدصدت هامها
أتبغى أذاها واعسارها وحولك طي وانعامها
وانا لننعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامها

ولما مات حاتم عظم على طيء موته فادعى اخوه انه يخلفه، فقالت له امه : هيهات شتان والله مابين خلقتيكما وضعته فبقى والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديي طفلا من الجيران ، وكنت انت ترضع ثديا ويدك على الأخر فأنى لك ذلك . قال الشاعر :

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء وان مات قامت للسخاء مئاتم

وكان سفانة ابنة حاتم من أجود نساء العرب ، وكان ابوها يعطيها الضريبة من أبله فتهبها الناس ، وكان يقول لها يابنية ان الكريمين اذا أجتمعا في المال اتلفاه فاما ان أعطي وتمسكي واما ان أمسك وتعطي فانه لايبقى على هذا شيء . فقالت له : منك تعلمت مكارم الاخلاق .

ولما بعث النبي (ص) سريته الى طيء فكان ممن اسرتها خيل النبي سفانة ، فدخلت عليه فأكرمها غاية الاكرام ثم اسلمت

بعد ذلك وحسن اسلامها .

وكان عدى ابن حاتم أيضا من الاسخياء المعروفين ، اسلم على يد النبي (ص) وكان من جملة اصحاب امير المؤمنين (ع) بالكوفة ، وفيه يقول الشاعر :

بأبه اقتـدى عـدي في الكرم ومن يشابه أبـه فما ظـلم

دخل « ابو داره » عليه فقال : اني مدحتك . قال : امسك حتى آتيك بمال فأني اكره ان اعطيك ثمن ما تقول ، هذه ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى هذا ، فأنشده من أبيات :

تحى قلوصي في معد وانمـا تلاقي الربيع في ديار بني ثعل

وابقى الليالي من عدي بن حاتم

حساما كنصل السيف سل من الخلل

ابوك جواد لايشق غبـاره وانت جواد ليس تعذر بالعلل

وأرسل الاشعث الى عدي يستعير منه قدورا كانت لأبيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال : انا لانعيرها فارغة .

(لؤلؤة)

وفيها طرفان :

(الطرف الاول)

في نبذة مما يتعلق ببعض الاكاسرة . واعلم ان كسرى اسم لكل ملك من ملوك الفرس ، ولكن في الغالب اذا أطلق لفظ كسرى يراد منه انوشروان .

قيل ان كسرى انوشروان وضع الموائد للناس في يوم نيروز ، فدخل عليه وجوه اهل مملكته في الايوان ، فلما فرغوا من الطعام جائوا بالشراب ، فلما رفعت الاواني اخذ بعض من حضر جاما من ذهب وزنه ألف مثقال وخباه تحت ثيابه وانوشروان يراه ، فلما فقده الشرابي صاح بصوت عال : لايخرجن أحد حتى يفتش . فقال كسرى : قد أخذه من لايرده ورآه من لاينم عليه فلا تفش أحدا . فأخذه الرجل ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة ، فلما كان مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذالك الرجل بتلك الحلية ، فدعاه كسرى وقال له : هذا من ذاك ،فقبل الارض وقال : نعم أصلح الله الملك .

وأولم عيد عند كسرى فأقام على رؤوس الناس ألف

وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب .

وقيل كان شيخ يغرس شجر النارجيل وهي لاتثمر الا بعد أربعين سنة ، فمر به كسرى وقال له : اتعيش الى ان تأكل منها ؟ فقال الشيخ : غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلوا . فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال الشيخ : ايها الملك ان غرس السابقين اثمر بعد أربعين سنة وغرسنا اثمر في يومه ، فأمر له بأربعة آلاف أخرى .

ولزم بعض الحكماء باب كسرى في حاجة دهرا ، فلم يوصل اليه ، فكتب اربعة اسطر في ورقة ودفعها للحاجب ، فكان في السطر الاول « العديم لايكون له صبر على المطالبة» ، وفي الثاني « الضرورة والامل اقدماني عليك » ، وفي الثالث « الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء » ، وفي الرابع « اما نعم ، فمثمرة واما لافمريحة » ، فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر ألف دينار . وقيل انه وقع « اما الضرورة والامل فسنغنيك عنهما ، وأما الرجوع الى الاهل بلا حاجة شماتة الاعداء فالشماتة بنا اعظم اذا رجع قاصدنا خائبا » وأمر له بما شاء من خيل وابل وذهب وفضة ، وأخذ عليه عهداً بأنه متى نفد عطاؤه يعود اليه .

قيل لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي مناد « من له علينا حق فليأت » فلم يوجد أحد له عليه درهم .

وانوشروان هو الذي ولد رسول الله (ص) لسبع سنين خلت من ملكه ، وقال « ولدت في زمن الملك العادل » .

وحكي ان بهرام جور خرج يوما للصيد فأنفرد عن اصحابه وتبع صيدا ، فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي : احفظ فرسي حتى ابول . فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا ، فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع اطراف اللجام واخذ الذهب الذي عليه ، فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره واطرق برأسه الى الارض واطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ، ثم قام بهرام واضعا يديه على عينيه وقال للراعي : قدم الى فرسى فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا اقدر على فتحهما ، فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه : ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا .

وكان بهرام يقول : من احب ان ينظر فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله عز وجل به من المواهب

الجليلة النفيسه والنسيم والريح وما وعدهم في الجنان ، فانه لولا رضاه الجود لم يصطنعه لنفسه .

وقال المؤبذ لأبرويز : اكنتم وآباؤكم تمنون بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ؟ فقال : لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك لأنفسنا ، وفي كتاب ديننا : ان من اظهر معروفا خفيا ليتطاول به على المنعم فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب ان لايعد في الابرار ولا يذكر في الاتقياء والصالحين .

(الطرف الثاني)

في ذكر نبذة ممن جاد بنفسه وآثر غيره عليها . عن حذيفة العدوى انه قال : انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شيء من الماء ، وانا أقول : ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى . فقلت له : اسقيك ؟ فأشار الي نعم ، فاذا برجل يقول آه ، فأشار الى ابن عمي ان انطلق اليه واسقه ، فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت له : اسقيك ؟ فأشار الي نعم ، فسمع آخر يقول آه فأشار الى ان انطلق اليه ، فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت

الى ابن عمي فاذا هو قد مات .

وقيل ان مسجدا بمرو احترق فظن المسلمون ان النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم ، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم ، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها ، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال : والله ما كنت ابالي لولا ام لي . وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له : في رقعتي الجلد وليس لي أم فخذ انت رقعتي واعطني رقعتك ، ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص الرجل .

وممن آثر غيره على نفسه وجاد بها كعب بن مامة الايادي الجواد المشهور ، وكان ممن انتهى اليه الجود في الجاهلية حتى صار يضرب به المثل ، خرج مع رفيقه السعدي او النمري في ركب فنفد ماء السعدي فآثره على نفسه وسقاه ومات هو عطشانا ونجا السعدي .

وناهيك بهذا لكرم الذي لم يسبق اليه ، يقال انه لما اضرَّ به العطش كانوا قد قربوا من الماء ، فقيل له رد كعب انك وارد ، فعجز عن الجواب فتركوه فمات في مكانه ، فلما بلغ الخبر أباه مامه قال يرثيه :

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ
خمرا بماء أذا ناجودها بردا
من أبن مامة .كعب ثم عى به
ذو المنية الاحرة وقدا
او في على الماء كعب ثم قيل له
رد كعب انك وارد فما وردا

وفيه وفي حاتم يقول القائل :

كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلى من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا
في الجهد ميتة خضرم صنديد
ألا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمحون به بألف شهيد

(لؤلؤة)

« في نبذة من كرم الملوك والامراء » .

قيل ان بعض الشعراء أمر له بعض الخلفاء بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة ، فقال ابياتا في شكره ، فلما بلغ قوله :

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد خفت ان اطغى وان اتجبرا

فقال : والله لا امسك حتى اغرقك بجودي ، وامر له بضياع تقوم بألف ألف .

ودخل رجل على بعض الخلفاء فقال له : سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي . فقال : أمن قريش أنت ؟ قال : لا . قال : فأي رحم بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم (ع) . فقال : رحم مجفوة والله لأكونن اول من وصلها ثم قضى حاجته . وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل :

أاترك ان قلّت دراهم خالد زيارته اني اذاً للئيم

فقال : او قلّت دراهم خالد احملوا اليه مائة الف درهم ، فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل فقال : هذه قطرة من سحابك .

ودخل ابو العيناء على المأمون فأنشده :

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب اعيش بها ففي العلا لك اخلاق هي السبب

فأعطاه مائة الف درهم وأمر ان تبعث له في كل شهر .

ووقف اعرابي بباب المأمون وانشد :

اني رأيتك في منامي سيدي يابن الكرام على الجواد اللاحق
فكسوتني حللا ظرائف حسنها يزهو على حسن الكميت السابق

فقال : اعطوه خلعة وفرسا ، فقال :

واجرتني بخريطـــة مملؤة ذهبا واخرى باللجين الفائق

فقال : اعطوه ألف دينار وألف درهم في خريطة ، فقال :

وحبوتني بمليحة روميـــة حسناء تشفع بالغلام السائق

فقال : اعطوه جارية وغلاما . ثم قال : يا اعرابي انك ان ترى مثل هذا المنام ربما لم تجد من يفسره .

وقصد الحكم بن عبدان الشاعر اسماء بن خارجة فأنشد :

اغفيت قبل الصبح نوم مسهد في ساعة ماكنت من نوّامها

فرأيت انك رعتني بوليـدة مغناجة [1] حسن لدي قوامها

وببـدرة حملت لدى وبغلة شهباء ناجية تصك لجامهـا

فقال له : اصبت عندنا كل شيء الا البغلة فانها دهماء .

فقال : اذكرتني أيها الامير فاني ما رأيتها الا دهماء ، فضحك وأمر له بكل شيء سأله .

وقصد بعض الظرفاء عيسى بن الشيخ ثامر فأنشد :

رأيتك في المنـــام خلعت خزا علي بنفسـج وقضيت ديني

فعجل لي فـــداك ابي وامي مقالا في المنـام رأته عيني

فعرض عليه مافي الخزائن من الخز ، فوجد فيه سبعين شقة

---

(١) غنجت الجارية غنجا : دلت وأظهرت الدلال .

بنفسجية فدفعها اليه وقال : كم دينك ؟ قال: عشرة آلاف، فأعطاه عشرين ألفا وقال : لاتعدترى منا ما آخر .

ووقف اعرابي علي ابن عامر فقال : ياقمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة واكدت بي الآمال الا بفنائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة ، فأمر له بمائتي ألف درهم .

وقيل أراد ابن عامر ان يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف ، فراجعه الخازن في ذلك فقال : انفذه فما بقي الانفاذه ، وان خروج المال احب الى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال : اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته .

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان منه جوهرة نفيسه وباعها بمال جزيل ، فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا : باعها فلان من مدة ، ثم ان ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يديه فقال له : أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك ، واقسم بالله لقد نسيت هذا ، ثم أمر للجوهري بثمنها وقال للرجل : خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذي تشتهيه ولا تبع بيع خائف .

قال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان :

وماشم انفي ريح كف شممتها من الناس الا ريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار : ومائة مثقال مسك ومثلها من العنبر .

ومدح ابو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لايستطيع أن يقوم ، فغار الشعراء منه فقال : يالله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ، ان أحدكم يأتينا ليمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره ، وقد تشبب ابو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال:

اني امنت من الزمان وصرفه لما علقت من الامير حبالا

لو يستطيع الناس من اجلاله جعلوا له حر الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لأنها قطعت اليك سباسبا [1] ورمالا

فاذا وردن بنا وردن خفائفا واذا صدرن بناصدون ثقالا

وأتى أعرابي مالك بن طوق وقال : قد قلت أربعة ابيات قبل أن أصل الى الامير ، فلما رأيت ما ببابك من العظمة والمهابة استصغرتها . قال : اشتريتها منك بأربعة آلاف درهم ، فأنشدنيها فان كانت أحسن فقد ربحنا عليك والا فقد نلت مرادك وربحت علينا فأنشد :

ومازلت اخشى الدهر حتى تعلقت يداي بمن لايتقي الدهر صاحبه

فلما رآني الدهر تحت جناحه رأى مرتقا صعبا منيعا مطالبه

---

(١) السبسب : المفازة أو الارض المستوية .

رآني حيث النجم من رأس باذخ تظل الورى اكنافه وجوانبه
فتى كسماك الغيث والناس دونه اذا أجدبوا جادت عليهم سحائبه

فتبسم مالك وقال : ربحنا عليك والله ما قيمتها الا عشرة اظنه يرضي ببيعي . فقال مالك : اظنك حدثتك نفسك اظنه يرضى ببيعي . فقال مالك : اظنك حدثك نفسك بالنكث ؟ قال : نعم لأني وجدت النكث في البيع اهون من خيانة الشريك ، فضحك مالك وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وعرض له رجل فناوله رقعة فاذا فيها :

جعلتك دنيائي فان انت جدت لي بخير والا فالسلام على الدنيا

فقال : والله لأصدقن ظنك ، فأعطاه حتى اغناه .

وقدم زياد الاعجم على عبدالله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وانعم عليه ، وبعث اليه بألف دينار فقال :

ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال : زدني . فقال : كل شيء وثمنه .

ووفد ابو الشمقمق الى مدينة سابوريريد محمد بن عبد السلام ، فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب ، فدخل عليه يتوجع له ، فلما رآه محمد قال :

ولقد قدمت على رجال طالما قدم الرجال عليهم فتمولوا

اخنى الزمان عليهم فكأنما كانوا بأرض اقفرت فتحولوا

فقال ابو الشمقمق :

الجود أفلسهم وأذهب مالهم فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال : فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعها اليه ، فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقّع الى عامله بأسقاط الخراج عن محمد بن سلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا ، وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته .

ووفد ابو العطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له ، فأنزله واحسن اليه وقال : ما عندك يا أبا عطاء ؟ فقال : وما عسى ان أقول وانت أشعر العرب غير اني قلت بيتين . قال : هات ما قلت . فقال :

ياطالب الجود أمّا كنت تطلبه فأطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو في أعنتها مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيئا ، فبلغ ذلك نصرا فقال : ياله قاتله الله من سيد ما اضخم قدره ، ثم أمر له بمثله .

وتوافق قوم من العرب ليقصدوا طلحة الطلحات بسجستان ، فمروا في طريقهم بعجوز من العرب فقالت : اين تريدون ؟ فقالوا:

طلحة الطلحات ، فذبحت لهم شاة لاتملك سواها ، فعجبوا لكرمها فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها : الك حاجة ؟ فقالت : تحملون لي هذه الرقعة الى طلحة ، فأعطتهم رقعة مختومة وقد كتبت فيها :

يا أيها المانح دلوى دونك اني سمعت الناس يحمدونك
يثنون خيرا ويمجدونك ارجوك للخيرالذي يرجونك

فلما بلغوه اعطوه الرقعة فقرأها ثم قال : ما رأيت اعجب من أمر هذه العجوز انها التمست جبنة من جبن سجستان فهل تحملونها اليها . قالوا : نعم ، فلما أرادوا الرحيل اخذ جبنة كبيرة وقورها وصب فيها ألف دينار ، ثم وضعها في جراب وختم عليها وكتب اليها في الجواب :

ملأتها فيضا يفيض فيضا فلن تخافي ما بقيت هيضا (١).

خذي اليك ثم عودي أيضا :

ودخل كثير عزة على طلحة الطلحات عائدا ، فقعد عند رأسه فلم يكلمه لشدة ما به ، فأطرق مليا ثم التفت الى جلسائه فقال : لقد كان بحرا زاخرا وغيثا ماطرا ، ولقد كان هطل السحاب حلو الخطاب قريب الميعاد صعب القياد ، ان سئل جادو ان ابتلى صبر

---

(١) أي لاتخافي معاورة الحزن والهم .

وان فوخر فخر وان صارع بدر وان جنى عليه غفر ، ففتح طلحة عينيه وقال : ويلك يا كثير ما تقول ؟ فقال :

يابن السماحة من خزاعة والذي ... أس المكارم وارتدى بنجاد
حلت سماحتك الوفود من الورى ... فكأنما كانوا على ميعاد
لتعود سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكى كان بالعواد

فأستوى جالسا وامر له بمائة من الابل وقال : هي لك ان عشت في كل سنة .

ووفد ابو نؤاس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء ، فأنشد الشعراء اشعارهم فلما فرغوا قال ابو نؤاس : انشد أيها الامير قصيدة هي كعصى موسى تلقف ما صنعوا ؟ قال : انشد ، فأنشده قصيدته التي منها :

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا ... فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم ان الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يسير الجود حيث يسير

فأهتز الخصيب طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة .

وامتدح ابن حيوس [1] محمد بن نصر صاحب حلب ،

---

(١) هو ابو الفتيان محمد بن سلطان محمد بن حيوس ابن محمد الغنوي الشاعر المشهور ، كان يدعى بالامير لأن

فأجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده ابن حيوس بقصيدة منها :

تباعدت عنكم حرمة لازهادة ... وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت ... واني عليم ان سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر : والله لو قال « سيضعفها نصر » لأضعفتها له ، فأعطاه ألف دينار في طبق فضة .

ودخل خلف بن بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها (البدر) من احسن الجواري وجها واكملها خلقا ، فقال سليمان لخلف : كيف ترى هذه الجارية ؟ فقال : ما رأت عيناي احسن منها . فقال : خذ يدها . قال : ما كنت لأفعل ولا أسلبها الامير . فقال : خذها على عجبي بها ليعلم هواي اني غالب له ، فأخذ بيدها وخرج وهو يقول :

لقد حباني وأعطاني وفضلني ... من غير مسألة منى سليمان
اعطاني البدر جودا في محاسنها ... والبدر لم يعطه انس ولا جان
ولست حقا بناس عرفه أبدا (٢) ... حتى يغيبني لحد واكفان

أباه كان من أمراء المغرب ، وهو أحد الشعراء الشاميين ، له ديوان شعر كبير .

(٢) العرف : المعروف والجود وما تبذله وتعطيه .

وكان عند رجل من أهل البصرة جارية نفيسة قد استأد بها بأنواع الادب حتى فاقت أهل زمانها ، فقعد به الدهر فجاء الى عبيد الله بن معمر وقال له : هذه جارية ربيتها ورضيت لك أدبها فأقبلها مني هدية . فقال : بعها مني . ثم قال له : يقنعك مني فيها عشرة بدر كل بدرة عشرة آلاف درهم . فقال : والله ما أمتد املي الى عشر ما ذكرت ولكن هذا من فضلك المعروف وجودك المشهور :فقبض المال وقال للجارية : ادخلي الحجاب . فقال سيدها : اعزك الله لو أذنت لي في وداعها . قال : نعم ، فوقفت وانشأت تقول :

هنيئاً لك المال الذي قد أصبته ... ولم يبق في كفي الا تفكري
اقول لنفسي وهي في كرب عيشة ... اقلي فقد بان الحبيب او اكثري
اذا لم يكن للموت عندك حيلة ... ولم تجدي بداً من الصبر فأصبر

فأجابها مولاها وعيناه تدمعان :

ابوح بحزن من فراقك موجع ... اقاسي به ليلا بطول تفكري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فأعذري
عليك سلام الله لا زور بيتنا ... ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال عبيد الله بن معمر : قد شئت فخذ جاريتك وبارك الله لك في المال ، فذهب بجاريته والمال وعاد غنياً .

(لؤلؤة)

في اخبار آل المهلب ، وفيها اطراف :

(الطرف الاول)

« في نبذة مما قيل فيهم » .

عن أبي العيناء قال : تذاكر الناس السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ، ثم اتفقوا على أن احمد بن أبي دؤاد اسخى منهم جميعا وافضل .

قال ابن خلكان : اجمع علماء التاريخ على انه لم يكن في دولة بني امية اكرم من بني المهلب ، كما لم يكن في دولة بني العباس اكرم من البرامكة . قال شاعر الحماسة :

نزلت على آل المهلب شاكيا بعيداً عن الاوطان في الزمن المحل[1]
فما زال بي معروفهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وقال ابن حمدون في آل المهلب :

آل المهلب معشر أمجاد ورثوا المكارم والوفاء فسادوا

(١) في الزمن المحل : الزمن المجدب .

شاد المهلب ما بني ابناؤه ... واتى بنوه مابناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبته ... وبنى له الآباء والأجداد

وقال مسلم بن الوليد :

آل المهلب قوم لا يزال لهم ... رق الصريح واسلاب المذاويد (٢)
مظفرون تصيب الحرب أنفسهم ... اذا القرار تمطى بالمحاييد
نجل مناجيب لم يعدم تلادهم ... فتى يرجى لنقض أو لتوكيد (٣)

وقال عمرو بن لجا من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب :

آل المهلب قوم ان نسبتهم ... كانوا المكارم آباءً وأجدادا
كم حاسد لهم يعيا بفضلهم ... وما دنا من مساعيهم ولا كادا
ان العرانين (١) تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا
لو قيل للمجد حِدْ عنهم وخلهم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم أرواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس اجسادا

---

(٢) المذاويد : الذين يدافعون عن ذمارهم .

(٣) النجل : الكريم النسب من الانسان والحيوان . والمناجيب جمع المنجاب ، وهو ولد النجباء . والتلاد : المال القديم .

(١) العرانين جمع عرنين ، وهو السيد الشريف .

(الطرف الثاني)

في نبذة من أخبار ابي سعيد المهلب بن ابي صفرة الازدي الذي اليه ينتهى نسب المهالبة .

كان المهلب من الكرماء المعروفين والشجعان المشهورين ، حمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز ، ولذلك كانت البصرة تسمى بصرة المهلب ، وكانت الخوارج تسميه الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم .

وقد ذكر ابو العباس المبرد في كتاب الكامل جل وقائعه مع الخوارج ، فلولا خوف الاطالة لذكرنا شطرا من ذلك ، وفي بعض وقائعه مع الخوارج يقول رجل من بني تميم :

سقى الله المهلب كل غيث من الوسمى ينتحر انتحارا
فما وهن المهلب يوم جاءت عوابس خيلهم تبغى الغوارا

وقيل للمهلب : ما أعجب ما رأيت في حرب الازارقة ؟ فقال : فتى كان يخرج الينا منهم في كل غداة فيقول :

وسائلة بالغيب عني ولو درت مقارعتي الابطال طال نحيبها
اذا ماالتقينا كنت اول فارس يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء الا أقعده ، فاذا كان من الغد

عاد لمثل ذلك .

وكان المهلب في ايام ابن الزبير أميرا على البصرة نيابة عن مصعب بن الزبير ، ثم ولاه عبدالله خراسان ، فتعوق في طريقه بسبب قتاله للخوارج لأمر يطول شرحه ، ولما ضم عبد الملك بن مروان الى الحجاج خراسان وسجستان بعد وقعة ابن الزبير استعمل الحجاج على خراسان المهلب المذكور ، فورد المهلب اليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد اصيب بأحدى عينيه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان في خلافة معاوية ، فأنه كان معه في تلك الغزوة وقلعت أيضا عين طلحة الطلحات المشهور بالكرم المتقدم ذكره ، وفي ذلك يقول المهلب :

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي
وفهـا بحمد الله عن تلك ما ينسى
اذا جاء أمر الله احيـا حيولنـا
ولابد أن تعمى العيون لدى الرمس

وكان من سراة اولاده المغيرة ، كان يقدمه في قتال الخوارج ، وله معهم وقائع مأثورة وتوجه بصحبة أبيه الى خراسان ثم استنابه عنه بمرو الشاهجان [1] ، وتوفي بها في حياة ابيه سنة اثنتين

---

(١) مرو الشاهجان هي اشهر مدن خراسان ، وبها نهر

وثمانين ، فرثاه زياد الاعجم بقصيدته الحائية التي اولها :

قل للقوافل والغـزاة اذا غزوا للباكـرين وللمجدّ الرائح
ان السماحـة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا عبرت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

قال ابن خلكان : وهذه القصيدة من غرر القصائد ، وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا .

قيل : ان رجلا سمع من زياد الاعجم هذه القصيدة قبل ان يسمعها المهلب ، فأنشده اياها فأعطاه مأة الف درهم ، ثم اتاه زياد الاعجم فأنشده فقال له : قد انشدنيها رجل قبلك . فقال : انما سمعها مني ، فأعطاه مائة الف درهم .

وقال بعض اصحابه مادحا له من أبيات :

ان المهـلب ان اشتق لرؤيته
او امتدحـه فان النـاس قد علموا
هو الأريب الذي ترجى نوافـله
والمستعـان الذي تجلى به الظلم

الرزيق والشاهجان ، وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها ، ومنهما سقى اكثر ضياعها .

القـائل الفاعـل الميمون طـائره

ابو سعيد اذا ما عـدّت النعـم

أزمان أزمان اذ عض الحديـد بهم

واذ تمنى رجـال انهم هزموا

وقال حبيب بن عوف وكان من قواده :

ابا سعيـد جزاك الله صالحـة فقد كفيت ولم تعنف على احد

داويت بالحلم اهل الجهل فانقمعوا

وكنت كالوالد الحاني على الولد

اقبل المهلب يوما من بعض غزواته ، فتلقته امرأة فقالت له : ايها الامير اني نذرت ان اقبلت سالما أن اصوم شهرا وان تهب لي جارية والف درهم ، فضحك وقال : قد وفينا نذرك فلا تعودي لمثله فليس كل أحد يفي لك .

ووقف له رجل فقال : اريد منك حويجة . فقال : اطلب لها رجيلا — يعني ان مثلى لايسأل الا لحاجة عظيمة .

وسبّ رجل المهلب وأفحش في سبه وهو ساكت ، فمر رجل فسمعه فردّ على السفيه وخاصمه ، ثم التفت الى المهلب وقال : هلا انتصرت لنفسك ؟ فقال المهلب : يابن اخي وجدت النصرة في الحلم ، ولولا حلمي ما انتصرت انت لي .

ومرَّ المهلب بحى من همدان ، فرآه شاب من أهل الحى فقال : هذا المهلب ؟ فقالوا : نعم . قال : ما يساوي خمسمائة درهم ، وكان المهلب رجلا أعورا ، فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم واتى الى الحى فأرقب الشاب الى ان رآه ، فأتى اليه وقال : افتح حجرك ، ففتح الشاب حجره فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال : خذ قيمة عمك المهلب ، والله يابن اخي لو كنت قومتني بخمسة آلاف دينار لكنت اتيتك بها ، فسمعه شيخ من اهل الحي فقال : والله ما اخطأ من جعلك سيداً .

وكان المهلب يقول لبنيه : يابني ان ثيابكم على غيركم احسن منها عليكم ، ودوابكم تحت غيركم احسن منها تحتكم ، وكان يقول لهم : لاتتكلوا على ما سبق من فعلى وافعلوا ما ينسب الي ، ثم قال متمثلا :

انما المجد مابنى والدا الصدق واحيـــا فعاله المـولود

وكان يقول :عجبت لمن يشترى العبيد بماله كيف لايشترى الاحرار بفعاله ؟

ولما حضرته الوفاة عهد الى ولده يزيد الآتي ذكره ، وكانت

وفاته سنة اثنين او ثلاث وثمانين بقرية من اعمال مرو الروذ (١) من ولاية خراسان ، وخلف عدة أولاد نجباء اجواد أمجاد ، منهم : حبيب ، وعبد الملك ، وقبيصة ، وابو عيينة ، وزياد ، ومروان ، والمفضل ومحمد ، واجلهم يزيد الآتي ذكره .

ولما مات رثته الشعراء ، وممن رثاه بهار بن توسعة الشاعر المشهور فقال :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ لا يبرحانها ... وقد فقدا من كل شرق ومغرب

الطرف الثالث

في نبذة من أخبار أبي طالب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ونبذة من وقعة المهالبة .

لما مات المهلب واستخلف يزيد مكانه على ما تقدم — كان يزيد ابن ثلاثين سنة ، فمكث نحوا من ست سنين من يومئذ ، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي ، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وكان عاملا عليها ، وصار يزيد في يد الحجاج وكان

(١) مرو الروذ : مدينة قريبة من مدينة الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وهي على نهر عظيم نسبت اليه ، وهي اصغر من مرو الاخرى .

الحجاج زوج اخته هند بنت المهلب ، وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة خوفا من ان يترتب مكانه ، فكان يقصده بالمكروه في كل وقت كي لايثب عليه ، فلم يزل يعمل عليه الحيل الى ان تمكن منه وقبض عليه ، فحبسه وأخذ يعذبه بأسوء العذاب ، فسأله ان يخفف عنه العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم ، فان أداها والا عذبه الى الليل . قال : فجمع يوما مائة الف درهم ليشترى بها عذابه في يومه ، فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال :

ابا خالد بادت خراسان بعدكم ... وصاح ذو والحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة ... ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة ... ولا لجواد بعد جودك جود

قال : فأعطاه المائة الف ، فبلغ ذلك الحجاج فدعى به وقال: يامروزي افيك هذا الكريم وانت بهذه الحالة ، قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده .

قال ابن خلكان : قلت هكذا ذكر ابن عساكر ، والمشهوران صاحب هذا الواقعة وهذه الابيات هو الفرزدق — انتهى .

وذكر غيره ان صاحب الواقعة هو الفرزدق ، وانه لما أراد

الدخول عليه منعه الحاجب وقال : انه في مكان ولا يمكن الدخول عليه فيه . فقال الفرزدق : انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا ، فأذن له فلما خرج بالمال قال له الحاجب : هذا الذي خفت منه لما منعتك من الدخول عليه .

قال ابن خلكان : وقوله في البيت الثاني « فلا مطر المروان » « ولا اخضر بالمروين » هما تثنية مرو حدهما مرو الشاهجان وهي العظمى والاخرى مرو الروذ وهي الصغرى ، وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخراسان .

وقيل : دخل عليه وهو في السجن يزيد بن الحكم وهو يعذب وقد حل عليه نجم ، وكانت نجومه في كل اسبوع ستة آلاف درهم فقال :

اصبح في قيدك السماحة والجود ... وفضل السلاح والحسب
لا تضجرن ان تتابعت نقم ... وصارف في البلاء محتسب
برزت سبق الجياد في مهل ... وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال : اعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر .

يقول جامع الكتاب : وهذه الحكاية تنافي ما تقدم ، والظاهر انها وقعت مع يزيد وهو في سجن عمر بن عبد العزيز على مايأتي ،

والقائل انما هو الفرزدق ، وهي ليست بتلك الكيفية وكذلك الابيات ، وسنشير اليها عن قريب .

وكان هشام بن حسان اذا ذكر يزيد بن المهلب قال : كانت السفن تجري في بحر جوده .

عن ابي الحسن المدائني انه قال : باع وكيل يزيد بن المهلب بطيخا جاء من غلة بعض املاكه بأربعين الف درهم ، فبلغ ذلك يزيد فقال له : تركتنا بقالين اما كان في عجائز الازد من تقسمه فيهن ؟ وغضب غضبا شديدا .

ووعد يزيد ، كوثر بن زفر وابطأ بوعده ، فقال : اصلح الله الامير انت اعظم من ان يستعان بك او يستعان عليك ، ولست تفعل من الخير شيئا الا وهو يصغر عنك وانت تكبر عنه ، وليس العجب ان تفعل ولكن العجب ان لاتفعل ، فلما سمع هذا الخطاب البليغ مال طربا وقال : سل حاجتك . قال : حملت من عشيرتي عشر ديات . قال : قد امرت لك بها وشفعتها بمثلها .

وعن الاصمعي : قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم :

مالي أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الاسواق

حابوك ام هابوك ام شاموا الندى
بيـــديك فانتجعوا من الآفـــاق
اني رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليـــلة العشاق

فأمر له بألف دينار ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشـــد :

والله ماندري اذا ما فاتنـــا طلب لديك من الذي نطلب
فلقد ضربنا في البلاد فلم نجد احداً سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعـــادتك التي عودتنا أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار .

وعن الحافظ حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحير ودهش وقال : امضى الى فلانة واشتريها بهذا الالف ، فقال : اعطوه ألفا آخر . فقال : امرأتى طالق ان حلقت رأس احد بعدك فقال اعطوه : ألفين آخرين .

وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصر وقال له : اغرم دينك خمسين مرة . فقال : ما عندي ما اغـــرمه فقال : والله لتغرمنها مائة مرة . قال : فتحملها عنه يزيد بن المهلب .

واستعمل الوليد أيام خلافته عثمان بن حيان المري على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الخانة ، فلما استخلف سليمان اخذه بألفي

الف درهم ، فحار في امره فاجتمع عليه قومه فقال عمر بن هبيرة: عليكم بيزيد بن المهلب فمالها احد غيره ، فأتوه وفيهم ابن هبيرة والقعقاع بن حبيب ، فتحملها يزيد عنهم ، فلما بلغ سليمان ذلك رد المال ، والى ذلك اشار عدي بن رقاع العاملي في قوله :

ولله عينـــا من رأى كحمالة تحملها كبش العـــراق يزيد

« نادرة »

قال له بعض جلسائه يوما : لم لا تتخذ لك دارا ؟ فقال : وما اصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام . فقال له : واين هي؟ فقال : ان كنت متوليا فدار الامارة ، وان كنت معزولا فالسجن . ثم ان يزيد لما حبسه الحجاج وعذبه واستأصل موجوده تلطف بالسجان وارغبه واستماله وهرب هو والسجان الى الشام قاصدا سليمان بن عبد الملك ، وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك ، فلما وصل الى سليمان اكرمه واحسن اليه ، فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه بذلك وانه عند اخيه وولي عهده ، فكتب الوليد الى سليمان يطلب منه يزيد ابن المهلب ، فكتب اليه سليمان : اني ما اجرت يزيد بن المهلب

إلا لأنه هو وابوه واخوته مَن صنائعنا قديما وحديثا ، وقدكان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف الف درهم ظلما وطالبه بعدها بثلاثة آلاف الف ، فان رأى امير المؤمنين انلايخزيني في ضيفي فليفعل . فكتب اليه الوليد : لابد ان ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا ، فلما ورد الكتاب على سليمان احضر ولده ايوب فقيده ودعى يزيد بن المهلب وقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وارسلهما الى اخيه الوليد وكتب اليه : « اما بعد » ، فقد وجهت اليك يزيد وابن اخيك ايوب ، ولقد هممت ان اكون ثالثهما ، فان هممت بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب قبله واجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا ، والسلام » .

فلما دخلا عليه في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياءاً وقال : لقد اسأنا الى ابي ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ ، فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد : مايحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج . ثم احضر حدادا وازال عنهما الحديد واحسن اليهما ، ووصل ايوب بثلاثين الف درهم ، ووصل يزيد بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان ، ولم يزل عنده في أعلى المراتب وارفع المنازل حتى كان لا تأتيه هدية إلا

وبعث نصفها ليزيد ، ولا تعجبه جارية الا وبعثها اليه .

وعن الحافظ ان يزيد لما هرب من الحجاج قاصدا سليمان ابن عبد الملك اجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب وقال لغلامه : استسق لنا من هؤلاء لبناً فأتاه بلبن فشربه ثم قال : أعطهم الف درهم . فقال : ان هؤلاء لايعرفونك . فقال : لكني اعرف نفسي اعطهم الف درهم .

ثم ان الحجاج هلك سنة خمس وتسعين ، وكانت ولاية الحجاج بالعراق عشرين سنة ، ثم مات الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين فبويع سليمان فولى يزيد بن المهلب العراق ، ثم صرفه عن العراق وولاه خراسان ، فافتتح جرجان ودهستان واقبل يزيد يريد العراق فلقاه موت سليمان بن عبد الملك وكان ذلك سنة تسع وتسعين ، ثم بويع بالخلافة لعمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يبغض يزيد ويقول : هؤلاء جبابرة . فصار يزيد الى البصرة فأخذه عدي بن أرطاة واليها يومئذ ، فأوثقه وبعث به الى عمر ابن عبد العزيز ، فحبسه عمر .

وعن ابن عساكر ان يزيد بن المهلب ولى امارة البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم نزعه عمر بن عبد العزيز وولى عدي بن أرطاة وقدم به الى عمر مسخوطا عليه ، وكان سعيد بن

عمرو بن العاص مؤاخيا ليزيد ، فلما حبس عمر يزيد منع الناس من الدخول عليه ، فأتاه سعيد فاحتال وقال : ان لي على يزيد خمسين الف درهم وقد حلت بيني وبينه فان رأيت ان تأذن لي فأقتضيه فأذن له ، فدخل عليه فسر به وقال : كيف وصلت الي؟ فأخبره سعيد ، فقال : والله لاتخرج الا وهي معك فامتنع سعيد فحلف يزيد ليقبضنها ، فلم يصل الى منزله الا والخمسون الف درهم عنده . وفي ذلك قال بعضهم :

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا حبي زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ أتاه اجاده بخمسين الف عجلت لسعيد

قال ابن خلكان : ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيداً فأنشده :

اصبح في قيدك السماحة والجود وحمل الديات والحسب
لابطران ترادفت نعم وصابر في البلاء محتسب

فقال له : ويحك ماذا صنعت ؟ اسأت الي ، تمدحني وانا في هذه الحالة . فقال الفرزدق : رأيتك رخيصا فأحببت ان اسلف فيك بضاعتي ، فرمى يزيد اليه بخاتمه وقال : شراؤه الف دينار وهو ربحك الى ان يأتيك رأس المال .

ثم ان عمر بن عبد العزيز مرض مرضه الذي توفي فيه ،

فخاف يزيد بن المهلب ان يلي الخلافة يزيد بن عبد الملك فيبطش به لما كان بينهما من العداوة ، فهرب من السجن واتى البصرة ثانيا .

قيل : انه لما هرب من سجن عمر بن عبد العزيز مر بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا ، فقال لابنه : مامعك من النفقة ؟ قال: ثمانمئة دينار فقال : ادفعها اليها . قال : يا ابه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهي لاتعرفك فقال : ان كان يرضيها اليسير فأنا لا ارضى الا بالكثير ، وان كانت لاتعرفني فأنا اعرف نفسي ادفعها اليه .

ثم ان عمر بن عبد العزيز توفى فبويع يزيد بن عبد الملك وكان ذلك سنة احدى ومائة ، وكان بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب عداوة شديدة ، ولولا خوف الاطالة لذكرنا السبب في ذلك ، فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك فجمع الجموع واتى البصرة وغلب عليها واخذ عدي بن ارطاة فحبسه ، وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه ، فجهز يزيد بن عبد الملك لقتاله أخاه مسلمة وابن اخيه العباس بن الوليد ومعهما الجيش ، وخرج يزيد بن المهلب للقائهم واستخلف على البصرة ولده معاوية ، وتخلف مروان بن المهلب ليحرض الناس على متابعته ، وكان ممن خرج امعه اخوته حبيب بن المهلب وعبد

الملك ومحمد والمفضل ، ولم يزل الحرب على ساق الى أن قتل يزيد واخوه حبيب واخوه محمد وجماعة من اصحابه ، فاحتز رأسه مسلمة وبعثه الى اخيه يزيد بن عبد الملك ، فلما جاءت هزيمة يزيد الى واسط اخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين اسيرا كانوا في يديه وفيهم عدي بن ارطاة فضرب اعناقهم ، ثم اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمروا عليهم المفضل بن المهلب وكان ممن نجا ، فخرجوا جميعا الى كرمان .

قال المفضل بن المهلب يرثي اخوته :

هل الجود الا أن نجود بأنفس على كل ماضي الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمد وبعد يزيد والحرون حبيب[1]
ومن هرَّ [2] أطراف القنا خشية الردى
فليس لمجد صالح بكسوب
وماهي إلا رقدة تورث العلى
لرهطك ماحنت روائم نيب [3]

---

(١) الحرون : الذي لاينقاد من الخيل ، وهو لقب حبيب بن المهلب .

(٢) هر الشيء : كرهه .

(٣) روائم جمع رائم وهو الطالب الرائد ، ونيب جمع نويب

وكانت تلك الواقعة سنة اثنتين ومائة ، ولما قتل يزيد رثاه شاعره ثابت بن قطنة بمراثي كثيرة حسنة منها :

كل القبائل بايعوك على الذي ... تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى اذا اشتجر القنا وتركتهم ... رهن الاسنة اسلموك وطاروا
إن يقتلوك فان قتلك لم يكن ... عاراً عليك ورب قتل عار

ومنها قوله من أبيات :

ارقت ولم تأرق معي ام خالد ... وقد أرقت عيناي حولا محرما
على هالك هد العشيرة فقده ... دعته المنايا فاستجاب وسلما
على ملك بالعقر ياصاح جنبت ... كتائبه واستورد الموت معلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا ... لسلبت ان لم يجمع الحي مأتما

وهذا ثابت كان استعمله يزيد بن المهلب على بعض كور خراسان فلما علا المنبر ارتج عليه فلم ينطق حتى نزل ، فدخل عليه الناس فقال :

فان لم اقم فيكم خطيبا فانني ... بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس .

ثم ان مسلمة بعث في طلب آل المهلب فأدركوهم في عقبة بفارس ، فاشتد قتالهم فقتل المفضل وجماعة من خواصه ، ثم قتل

تصغير الناب ، وهي الناقة المسنة التي طال نابها .

آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة وعثمان بن المفضل فانهما نجيا ولحقا بخاقان .

قال المسعودي في مروج الذهب : وبعث يزيد بن عبد الملك هلال ابن أحوز المازني في طلب آل المهلب وامره ان لايلقي منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه ، فاتبعهم حتى قندابيل [1] من ارض السند ، واتي هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما : ادركت؟ قال : نعم ومد عنقه ، وكان الآخر اشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعاً ، فضرب عنقه ، واثخن القتل في آل المهلب حتى كاد ان يفنيهم ، فذكر أن آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد — انتهى .

« الطرف الرابع »

في نبذة من أخبار مخلد بن يزيد بن المهلب .

كان المخلد احد الاسخياء الممدوحين ، وفد على عمر بن عبد العزيز يكلمه في امر أبيه لما حبسه عمر ، وكان ابوه قدولاه

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند ، قصبة لولاية يقال لها الندهة من قصدار اليها خمسة فراسخ .

جرجان ، فاجتاز في طريقه بالكوفة فأتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور فأنشده :

اتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجب المرحب
ألا لا تكلنا الى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من اسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
بلغت لعشر مضت من سنيك ... مابلغ السيد الأشنب (١)
فهمّك فيها حسام الأمور ... وهمّ لدائك ان يلعبوا
وجدت فقلت ألا سائل ... فيسأل او راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين ... وممن ببابك ان يطلبوا

فقال : هات حاجتك ، فقضاها وامر له بمائة الف درهم .

وعن قبيصة بن عمرو المهلبي قال : وهب مخلد من لدن خروجه من مروالى وروده دمشق الف ألف درهم ، ووفد عليه الكميت فأنشده فأمر له بخمسين الف درهم ، وقدم عليه رجل قد زاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه ، فلما عاد اليه قال له مخلد: ألم تكن أتيتنا فأجزناك فما الذي ردك الينا ؟ قال قول القائل :

فأعطى ثم اعطى ثم عدنا ... فأعطى ثم عدت له فعادا
مراراً ما اعود اليه إلا ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

(١) الاشنب : الرقة والعذوبة في الاسنان .

فأضعف له ما كان اعطاه .

ومات مخلد في حياة ابيه وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وكان ذلك في حدود المائة من الهجرة ، وكان موته بدابق [١] من أعمال حلب ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ثم قال : اليوم مات فتى العرب ، وانشد متمثلا .

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة
وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا

ثم قال : لو أراد الله بهذا الشيخ خيرا لأبقى هذا الفتى ، ورثاه حمزة بن بيض بأبيات منها .

وعطلت الاسرة منك الا سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهدنا بك يوم يحثى عليك بدابق سهل التراب

وقال الفرزدق يرثيه :

وما حملت ايديهم من جنازة ولا البست اثوابها مثل مخلد
ابوك الذي تستهزم الخيل باسمه وان كان فيها قيد شبر مطرد
وقد علموا إذ شد حقويه انه هو الليث ليث الغاب لا بالمعربد

---

(٢) دابق : قرية بحلب من عزاز ، بينها وبين حلب اربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزو الصائفة الى ثغر المصيصة .

« الطرف الخامس »

في نبذة من اخبار أبي خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب .

كان من الاسخياء الممدوحين ، قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم ، ولاه المنصور مصر سنة ثلاث واربعين ومائة.

« نادرة » قدم اشعب الطماع المشهور على يزيد بن حاتم وهو بمصر ، فجلس في مجلسه فدعى بغلامه فساره ، فقام اشعب فقبل يده فقال يزيد : لم فعلت هذا ؟ فقال : لاني رأيتك تسار غلامك فظننت انك قد أمرت لي بشيء ، فضحك وقال : مافعلت ولكني افعل ، فوصله واحسن اليه .

ثم ان المنصور خرج الى الشام سنة اربع وخمسين ومائة، فمن هناك سيَّر يزيد بن حاتم الى افريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص ،وجهز معه خمسين الف مقاتل ،واستقر يزيد واليا بافريقية من يومئذ ، ولما عقد المنصور ليزيد بن حاتم على بلاد افريقية عقد ليزيد بن اسيد السلمي على ديار مصر ، فخرجا معا ، فكان يزيد بن حاتم يقوم بكفاية الجيش ، فقال ربيعة

الرأي وكان من موالي سليم :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لايجود كما تجود

تقود كتيبة ويقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود

ومدح ربيعة يزيد بن اسيد السلمي فقصر في حقه ، فقال :

يمدح يزيد بن حاتم ويهجو يزيد السلمي بقصيدة من جملتها :

لشتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر ابن حاتم

فهمَّ الفتى الازدي اتلاف ماله وهمَّ الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام اني هجوته ولكنني فضلت اهل المكارم

فيابن اسيد لاتسام ابن حاتم فتقرع ان ساميته سن نادم

هو البحر ان كلفت نفسك خوضه تهالكت في آذيه [1] المتلاطم

تمنيت مجدا في سليم سفاهة اماني خال او أماني حالم

ألا انما آل المهلب غرة وفي الحرب قادات لكم بالخزائم

وأتى ربيعة الرأي يزيد بن حاتم فشغل عنه لأمر ضروري، فخرج وهو يقول :

اراني ولا كفران لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فأرسل من يجد في طلبه ، فأتى به فقال : كيف قلت ؟ فأنشد البيت ، فقال : شغلنا عنك وعجلت علينا ثم امر بخفيه فخلتا

---

(١) آذي البحر : موجه :

من رجليه فملأها مالا وقال : ارجع بهما بدلا من خفي حنين .

وكتب اليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه « اما بعد ، فقد بعثت اليك بثلاثين الفا لا اكثرها امتنانا ولا اقللها تجبرا ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع لك بها رجاءً والسلام » .

ووفد عليه المسهر التميمي الشاعر بافريقية فأنشده :

اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا لديك ولكن اهنأ البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده جميعه ، وكان معه خمسون الف مرتزق ، فقال : من احب ان يسريي فليضع لزائري هذا من عطاياه درهمين ، فاجتمع له مائة الف درهم ، وضم يزيد الى ذلك مائة الف اخرى ودفعهما اليه .

وقيل : انه قال يوما لجلسائه : انسقوا لي ثلاث ابيات . فقال صفوان أفيك ؟ فقال : فيمن شئتم ، فكأنها كانت في فمه فقال:

لم ادر بالجود الا ماسمعت به حتى لقيت يزيدا عصمة الناس
لقيت اجود من يمشي على قدم مفضلا برداء الجود والباس
لو نيل بالمجد جود كنت صاحبه وكنت اولى به من .....

قال صفوان : ثم كففت ، فقال : اتمم . فقلت « من آل

عباس » فقال : لا يسمعن هذا منك احد .

وقال يموت ابن المزرع : قال لي الاصمعي يوما — ونحن في ذكر الشعراء المادحين والمداحين من المولدين — : ان ابن المولى من المحسنين المداحين ، ولقد اسهرني في ليلتي هذه حسن مديحه في يزيد بن حاتم حيث يقول :

واذا تباع كريمة او تشتري فسواك بائعها وانت المشتري
واذا تخيل من سحابك لامع سبقت مخيلته يد المستمطر
واذا صنعت صنيعة اتممتها بيدين ليس نداهما بمكدر
واذ الفوارس عددت ابطالها عدوك في أبطالها بالخنصر

قيل : وقدم عليه ابن المولى المذكور وهو امير مصر فأنشده:

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

فدعى يزيد بخازنه وقال : كم في بيت المال ؟ قال : فيه من الورق والعين ما مبلغه عشرون الف دينار . فقال : ادفعها اليه ثم اعتذر منه . وقد تقدم نسبتها الى خالد بن عبيد الله والله اعلم بالصواب .

ولم يزل يزيد واليا بأفريقية الى ان توفي بها سنة سبعين ومائة بمدينة القيروان ودفن بباب سلم ، واستخلف على افريقية

ولده داود بن يزيد فعزله الرشيد سنة اثنين وسبعين ومائة وولاها عمه روح بن حاتم الآتي ذكره . وكان داود بن يزيد ايضا من الكرماء ، دخل عليه اعرابي فقال : اني لم اصن وجهي عن مسألتك فصن وجهك عن ردى وضعني من كرمك حيث وضعتك من املي . قال : قد امرت لك بعشرة آلاف درهم وهي اكثر من قدرك . قال : والله ان جاوزت قدري فما بلغت قدرك .

وكان يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه اليه مسلم بن الوليد راويته بقصيدته التي اولها « لاتدع بي الشوق اني غير معمود » فقدم راويته ودخل مجلس داود وقال : اني امتدحت الامير بقصيدة ما قالت العرب مثلها . فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة وقال : « لاتدع بي الشوق » استوى جالسا واطرق حتى اتى الرجل على آخرها ، ثم رفع رأسه اليه فقال : هذا شعرك ؟ قال : نعم اعز الله الامير . قال : في كم قلته يافتى ؟ قال : في اربعة اشهر . قال : فان كنت قائل هذا الشعر فقد انظرتك اربعة اشهر مثله وامرت بالاجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة الف درهم والا حرمتك . فقال : او الاقالة اعز الله الامير . فقال : قد اقلتك . قال : الشعر لمسلم بن الوليد وانا راويته

والوافد عليك بشعره . فقال : انا ابن حاتم انك افتتحت شعره فقلت : « لاتدع بي الشوق اني غير معمود » سمعت كلام مسلم ينادي فأجبت نداءه واستويت جالسا . ثم قال : ياغلام اعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة الى مسلم مائة الف درهم . والقصيدة طويلة تبلغ مائة بيت اعرضنا عنها خوف الاطالة .

سأل دعبل مسلما ما معنى قولك « لاتدع بي الشوق اني غير معمود » ؟ قال : لاتدعني صريع الغواني فلست كذلك ، وكان يلقب بهذا اللقب وهو كاره له .

واتاه اعرابي فأنشده :

امنت بداود وجود يمينـــه من الحدث المخشى والبؤس والفقر

فأصبحت لا اخشى بداود نبوة

من الحادثات اما شددت بهازري

فتى تفرق الاموال من جود كفه

كما يفرق الشيطان من ليلة القدر

فقال : قد حكّمناك فأن شئت على قدرك وان شئت على قدري . فقال : بل على قدري ، فأعطاه خمسين الفا . فقال له جلساؤه : هل لا احتكمت على قدر الامير ؟ فقال : لم يك في ماله ما يفي بقدره . فقال داود : انت في هذه اشعر منك في شعرك ،

وامر له بمثل ما اعطاه .

« الطرف السادس »

في نبذة من اخبار ابي حاتم روح ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب .

كان من الكرماء والاجواد ، وولّي لخمسة من الخلفاء : السفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد .

ولاه المهدي في اول خلافته الكوفة ، ثم ولاه السند سنة ستين ومائة ، ثم عزله وولاه البصرة ، ثم ولاه الرشيد السند وكان يزيد اخو روح واليا على افريقية كما تقدم ، فلما توفي يزيد بافريقية في مدينة القيروان وكان اقام واليا عليها خمسة عشر سنة قال اهل افريقية : ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الاخوين فان اخاه بالسند وهذا هنا ، فأتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع اخيه يزيد ، فدخل الى افريقية ولم يزل واليا بها الى ان توفي سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع اخيه يزيد في قبر واحد ، فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

يقول جامع الكتاب : وهناك حكايات متفرقة في كتب الادب لمن لم نذكره من آل المهلب اعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة ولأنا لم نعثر على تراجمهم واحوالهم .

قال الجاحظ في المحاسن والاضداد : وصل المأمون محمد بن عباد المهلبي بمائة الف دينار ، ففرقها على اخوانه ، فبلغ ذلك المأمون فقال : يا ابا عبدالله ان بيوت المال لاتقوم بهذا . فقال : يا امير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود .

أقول : ومحمد هذا ابن عباد بن حبيب بن المهلب وكان سيد اهل البصرة في زمانه ، ولم نعثر على شيء من اخباره ولا من اخبار ابيه عباد ، ونسب المبرد في الكامل هذين البيتين لعباد :

اذا خلة نابت صديقك فأغتنم مرمّتها فالدهر بالناس قلب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا زوال اقتدار او غنى عنك يعقب

« الطرف السابع »

في نبذة من اخبار الوزير المهلبي ، وهو الحسن بن محمد ابن هارون بن ابراهيم بن عبدالله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب .

كان وزير معز الدولة بن بويه الديلمي ، تولي وزارته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان رفيع القدر عالي الهمة سخيا أديبا كاملا ، وايامه معروفة في وزارته لمعز الدولة وتدبير امور العراق ، وكان في غاية الادب ونهاية المحبة لاهله ، وكان قبل اتصاله بالسلطان في شدة عظيمة من ضعف الحال وقلة المال وكان قدسافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، فقال في ذلك ارتجالا :

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه
اذا ابصرت قبرا من بعيد ... وددت بأنني فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على اخيه

وكان معه رفيق يقال له (ابو الحسن العسقلاني) ، فلما سمع الابيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه واطعمه ، وتحفظ الابيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته حتى ترقت حال المهلبي الى اعظم درجة من الوزارة حتى قال : :

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي
وأنالني ما ارتجى ... وادال مما اتقى
فلأصفحن عماجناه ... من الذنوب السبق

حتى جنايته بمـا فعل المشيب بمفرق

ثم تنزلت احوال رفيقه الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب اليه :

ألا قل للوزير فدته نفسى مقال مذكر ماقد نسيه

أتذكر اذتقول لضنك عيش ألا موت يباع فاشتريه

فلما وقف عليها تذكره وهزته اريحية الكرم وتذكر قول القائل :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن

فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقّع في رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » ثم دعى به وخلع عليه وولاه عملا يرتزق منه . وللصابىء فيه :

له يد برعت جـودا بنائلهـا ومنطق دره في الطرس ينتشر

فحاتم كـامن في بطن راحتـه وفي أنامله سحبان مستتر

قل للوزير أبى محمد الـذي قد أعجزت كل الورى اوصافه

لك في المجالس منطق يشفي الجوي

ويسوغ في أذن الاديب سـلافه

فكان لفظك جوهـر متنحل وكأنمـا آذاننـا اصدافه

وكان ابو الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني من اخصائه ،وله فيه مدائح منها قوله :

ولما انتجعـا لائذين بظلـه اعان ومـا عنّى ومن ومامنا

وردنا عليه مقتـرين فراشـنا وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله فيه قصيدة يهنئه بمولود جاءه من سرية رومية :

أسعد بمولود أتـاك مبـارك كالبدر أشرق تحت ليل مقمر

سعد الوقت سعـادة جاءت به ام حصان من بنات الاصفر

متشمخ في ذروتي شرف الورى بين المهلب منتمـاه وقيصر

شمس الضحى زفت الى بـدر الدجى

حتى اذا اجتمعـا أتت بالمشتري

وكان لمعز الدولة مملوك تركي في غاية الجمال وكان شديد المحبة له ، فبعث سرية لمحاربة بعض بني حمدان وجعل المملوك المذكور مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلبي يستحسنه ويرى انه

ظبـي يـرق المـاء في ❊ وجناته ويرق عوده

ويكاد من شبه العذارى ❊ فيه أن تبـدو نهوده

ناطـوا بمعقـد خصره ❊ سيفـا ومنطقـة تؤده

من عدد الهوى لامن عدد الوغي ، فعمل فيه .

جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده

فما اسرع من ان كانت الدائرة على هذا القائد ، ومما خرج له من الغزل قوله :

ياهلالا يبدو فيزداد شوقي وهزارا يشدو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رقك ملكي كذب الناس أنت مالك رقي

وقوله :

قال لي من احب والبين قد جد وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق

وعن الصابىء : ان أبا عيينة المهلبي الذي استفرغ تشبيهه في صاحبته دنيا كان من عمومة الوزير وكان الوزير يحفظ اكثر أشعاره ويتأسف على ما فاته من زمانه ، وفيه يقول :

اني وصلت مفاخري لأب حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلفني وحديثه فكأنما يحى
وتلوت عمي في تغزله وشربت ريا من هوى ريا
فكأنني أهوى صبابته وكأنها في حسنها دنيا

وله فيه أيضا :

ويافوز نفسي لو بلغت زمانه وبغيته «دنيا» وفي يدي الدنيا
فأمكنته من أهل «دنيا» وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى

وتوفى الوزير سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ورثاه ابن الحجاج الشاعر المشهور بقوله :

يامعشر الشعراء دعوة موجع ... لايرتجى فرج السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فانها ... تبكي دما بدل الدموع عليه
مات الذي أمسى الثناء وراءه ... والعفو عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كنا نفر من الزمان اليه
فليعلمن بنو بويه انه ... فجعت به أيام آل بويه

(لؤلؤة)

في أخبار البرامكة ، وفيها اطراف :

(الطرف الاول)

في نبذة مما قيل فيهم .

عن نزهة النفوس ـ ان اخبار البرامكة كثيرة ينبغي لكل مؤرخ أن يجعل طراز تاريخه ذكر صفاتهم ، لان فيها فوائد : « اولها » ان الكريم اذا سمعها يزيد في كرمه . « وثانيها » ان البخيل يأنف على نفسه ويتكرم . « وثالثها » ان الأديب يقتبس من أدبهم . « ورابعها » ان المغرور بدنياه يعتبر بما جرى عليهم بعد عز سلطانهم .

قال ابن خلكان : وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة ـ وقيل لأبي الحجناء ـ في الفضل بن يحيى .

عند الملوك منافع ومضرة وأرى البرامك لاتضر وتنفع
ان كان شر كان غيرهم له والخير منسوب اليهم أجمع

واذا جهلت من امرىء أعراقه وقديمه فانظر الى مايصنع

ان العروق اذا استسربها الندى

أسدى النبات بها وطاب المزرع

انتهى . وقال آخر في البرامكة :

ان البرامكة الكرام تعلموا فعل الكرام فعلموه الناسا

كانوا إذا غرسوا سقوا واذا بنوا لم يهدموا مما بنوه أساسا

واذاهم صنعوا الصنايع في الورى

جعلوا لها طول البقاء لباسا

وفي محمد بن يحيى يقول القائل :

سألت الندى والجود مالي أراكما

تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما فقالا اصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

عن بعضهم ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد ان لا يوجد أحد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا للبرامكة عليه كرم كما السماء .

(الطرف الثاني)

في نبذة من أخبار أبي العباس خالد بن برمك بن كشتاسف ابن جاباس .

كان ابوه برمك مجوسيا قدم على هشـــام بن عبد الملك الرصافة فأسلم على يده ، وكان عارفا بالحكمة وانواعها من الحساب والنجوم والطب وغير ذلك ، وكان متقدما عند الحكماء ، وكان ابوه ملكا من ملوك الفرس ، وكان هشام حين قدومه عليه مريضا فعالجه فأحسن هشام اليه وملّكه قرية من أعمال حلب وقيل فيه غير ذلك ، ومات برمك في جرجان .

ولما انتقل الامر الى بني العباس وولي السفاح استوزر في اول توليّه الخلافة بالكوفة: أبا سلمة حفص المعروف بالخلال ، فلما قتل ابو سلمة قلد السفاح وزارته لخالد بن برمك ، وكان خالد كريماً ذا همة تام العقل فاضلا نبيلا ، وله في ذلك اخبار مشهورة حتى قيل انه لم يكن له جليس إلا وقد بنى له دار واعطاه ضيعة ودابة وجميع مايحتاج اليه .

وهو اول من سمى المستميحين زواراً ، وكان قبل ذلك

يسمون السؤال فاستقبح لهم هذا الاسم .

كتب اليه بعض الشعراء في يوم نوروز وقد أهدى الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضة وذهب :

ليت شعري امالنا منك حظ ياهدايا الوزير في النوروز
ما على خالد بن برمك في الجو د نوال ينيله بعزيز
ليت لي جام فضة من هدا ياه سوى مابه الأمير مجيزي

فأمر له بجميع ما كان حاضرا بين يديه من الجامات والاواني الفضية والذهبية ، فبلغت مالا جزيلا .

وعن يوسف بن سلام الزعفراني عن أبيه قال : دخلت على خالد بن برمك وهو بالري فقال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم . قال وما هي ؟ قلت : امي مملوكة لقوم بالبصرة وحاجتي ان يشتريها الأمير . قال : وكم ثمنها ؟ قلت : ثلاثة آلاف درهم ، فأمر لي بها وقال لي : اشترها الآن واعتقها . ثم قلت : واريد الحج . فقال: اعطوه ثلاثة آلاف . قلت : ونحتاج الى خادم يخدمنا . قال : اعطوه ثلاثة آلاف . قلت : ونحتاج الى ثمن كسوة . فقال : اعطوه ثلاثة آلاف ، فلم أزل اقول واعد شيئا شيئا حتى اخذت ثلاثين ألف درهم .

ولم يزل على وزارة السفاح الى ان توفي السفاح سنة

ست وثلاثين ومائة ، وتولى الخلافة اخوه المنصور فبقى على وزارته سنة وشهورا الى ان احتال محمد بن ايوب المرزباني على خالد وقال للمنصور : انه لايكفي أمر فارس الا خالد ، وكانت الاكراد قد تغلبت عليها فندبه المنصور اليها ، ثم ولاه الموصل وولى ولده يحيى آذربايجان ، فتفرد ابن أيوب بالامر ، وتوفى خالد سنة ثلاث او خمس وستين ومائة في خلافة المهدي ،وكانت ولادته سنة تسعين من الهجرة .

(الطرف الثالث)

في نبذة من اخبار يحى بن خالد بن برمك .

كان من الكرم والسخاء والنبل والعقل وجميع الخلال على اكمل حال ، وكان المهدي قد ضم اليه ولده هارون وجعله في حجره ، فلما استخلف هارون قال له : يا ابة انت اجلستني في هذا المجلس بيمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع له خاتمه، وكان يعظمه واذا ذكره قال : قال ابي ، وجعل اصدار الامور وايرادها اليه .

قال القاضي يحى بن أكثم : لم يكن كيحى بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ، وكان يقول: اعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لاينقصك منها شيئا ،واعط منها وهي مدبرة فان منعك لايبقى عليك منها شيئا .

فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول : لله دره ما اطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا،وقد أنشد يحيى من نظمه فقال:

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى ان تجود بها فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وكان يقول لولده جعفر : يابني مادام قلمك يرعد فامطر معروفا ، وكان اذا أكد في يمينه قال : لا والذي جعل الوفاء أعز مايرى ، وفيه يقول القائل :

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنني عبد ليحى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثني من والد بعد والد

قيل : لما أنشد الشاعر هذين البيتين أمر له عن كل حرف بألف درهم ، فكانت تسعة وتسعين حرفا ، وفيه يقول ابو حنيش النميري :

لاتراني مصافحا كف يحى انني ان فعلت أتلفت مالي
لو يمس البخيل راحة يحى لسخت نفسه ببذل النوال

وعن اسحاق النديم قال : كانت صلات يحى اذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم ، فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده :

ياسمي الحصور يحيى أبيحت لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلى قليل هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى : صدقت ، وأمر بحمله الى داره ، فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله ، فذكر انه تزوج وقد اخذ بواحدة من ثلاث : أما ان يؤدي المهر وهو اربعة آلاف ، واما ان يطلق ،

وإما ان يقيم جاريا يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها ، فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر ، وبأربعة آلاف لثمن منزل ، وبأربعة الاف لما يحتاج اليه المنزل ، وبأربعة آلاف للخدمة ، وبأربعة آلاف يستظهر بها ، فأخذ عشرين ألفا وانصرف .

وعن الاصمعي قال : دخلت يوما على يحيى فقال لي : يا أصمعي هل لك زوجة ؟ فقلت : لا ، فأمر باخراج جارية في غاية الحسن والجمال والظرف فقال لها : قد وهبتك لهذا ، فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت : ياسيدي تدفعني الى هذا مع ماترى من سماجته وقبحه ؟ . فقال لي : هل لك ان اعوضك عنها ألفي دينار ، ودخلت الجارية الى داره . فقال لي : انكرت على هذه الجارية امرا فأردت ان أعاقبها ثم رحمتها ، فقلت له : هلا اعلمتني حين كنت لحقت على صورتي الاصلية من غير ان اسرح لحيتي واصلح عمامتي واتطيب واتجمل ، فضحك وامر لي بألف دينار أخرى .

ودخل عليه ابو قابوس الحميري وانشده :

رأيت يحيى أتم الله نعمته عليه يؤتي الذي لم يؤته احد
ينسى الذي كان من معروفه ابدا الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال .

وعن الخطيب في تاريخه : عن محمد بن عمر الواقدي ما ملخصه انه قال : كنت خياطا بالمدينة في يدي مائة الف درهم للناس أضارب بها ، فتلفت الدراهم فأتيت العراق وقصدت يحيى ابن خالد ، فدخلت عليه فسأل عن قصتي فأخبرته ، فلما أردت الانصراف لحقني خادم ومعه كيس فيه ألف دينار فقال : استعن بهذا وعد الينا غدا ، فغدوت اليه في اليوم الثاني ففعل كفعله في اليوم الاول ،وكذلك في اليوم الثالث والرابع ، ثم أمر لي بدار وقال : ياغلام افرش له الفرش الفلاني ياغلام اعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة الف ويصلح شأنه بمائة الف . ثم قال : الزمني وكن في داري . فقلت : اعز الله الوزير لو أذنت لي بالشخوص الى المدينة لأقضي الناس اموالهم ثم اعود الى حضرتك فأذن لي وأمر بتجهيزي ، فشخصت الى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت اليه ، فلم أزل في ناحيته .

وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف له رجل فقال : يا امير المؤمنين عطبت دابتي . فقال : يعطي خمسمائة درهم ، فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد : اومأت الي بشيء يا أبه ولم أعرفه . فقال : مثلك لايجري هذا القدر على لسانه ، انما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف ، عشرة آلاف ألف . فقال : اذا

سئلت مثل هذا كيف اقول ؟ فقال : تشتري له دابة .

ووقف رجل على طريق يحيى وانشأ يقول :

شفيعي اليك الله لاشيء غيره وليس الى رد الشفيع سبيل

فقال له يحيى : ما حاجتك ؟ قال : انا رجل مقل ذو عيال . فقال له : الزم بابي ، فكان يعطيه كل يوم الف درهم ، فلما كان بعد شهر أستحى الرجل وغاب ، فقال يحيى : لو أقام ببابي الى يوم موتى لأعطيته كل يوم الف درهم .

وعن محمد بن منادر الشاعر انه قال : حج الرشيد ومعه ابناه الامين والمأمون ، وحج معه يحيى بن خالد ومعه ابناه الفضل وجعفر ، فلما صاروا بالمدينة اعطوا الناس عطاياهم ، وكان اهل المدينة يسمون ذلك العام عام الاعطية ولم يروا مثل ذلك قط ، فقلت في ذلك :

أتانا بنو الاملاك من آل برمك فياطيب أخبار بأحسن منظر

لهم رحلة في كل عام الى العدى وأخرى الى البيت العتيق المعطر

اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فما خلقت إلا لجود اكفهم وأقدامهم الا لسعى مظفر

« الطرف الرابع »

في نبذة من اخبار جعفر بن يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد .

كان من علو القدر ونفاذ الامر وعظم المحل عند الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها ، وكان في الفصاحة والبلاغة بمكان ، وكان من ذكائه ان منجما يهوديا زعم ان الرشيد يموت من سنته فأغتم الرشيد لذلك فدخل جعفر على الرشيد واليهودي بين يديه ، فقال لليهودي : كم عمرك ؟ فقال : كذا وكذا أمدا طويلا . فقال للرشيد : اقتله حتى ترى كذبه في أمدك ، فقتله وذهب ما بالرشيد من الغم ، وأمر بصلب اليهودي ، فقال أشجع السلمى في ذلك :

سل الراكب المرمى على الجذع هل رأى
لراكبه نجما بدا غير أعور
فلو كان نجم مخبراً عن منية لأخبره عن رأسه المتحير
أتخبر عن نحس لغيرك شؤمه ونجمك بادى الشر بالشر مخبر

وأما جوده وسخاؤه فكان اشهر من ان يذكر ، حتى قيل انه

تكرم بخمسين ألف دينار من الذهب ، وتكرر ذلك منه كثيرا في ولايته كلها حتى صار يضرب به المثل الاكبر بقولهم « تبرمك فلان » . أي تخلق بأخلاق البرامكة في السماحة والعطاء .

ومن اخبار كرمه انه تكرم في يوم واحد على ألف شاعر ، فأعطى كل شاعر ألف درهم على ما قيل .

ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار ، وعفا عن تأديبه وتعذيبه على ما قيل .

قيل : ولما ولى الرشيد جعفر خراسان جلس للناس ، فدخلوا عليه يهنؤنه ، فأنشده الاشجع قصيدة اولها :

اتصبر للبين أم تجزع ... فان الديار غدا بلقع
غدا يتفرق أهل الهوى ... ويكثر باك ومسترجع

ومنها

الى جعفر نزعت رغبة ... وأي فتىً نحوه تنزع
فما دونه لامرىء مطمع ... ولا لامرىء غيره مقنع
ولا يرفع الناس من حطه ... ولا يضعون الذي يرفع
تريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع
فقل لخراسان تحيى فقد ... أتاها ابن يحيى الفتى الاروع

فأمر له بألف دينار . ثم بدا للرشيد فعزل جعفر عن خراسان

فأتاه أشجع وانشده أبياتا أخر فأمر له بألف دينار اخرى .

وأعطى جعفر مروان بن أبي حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم ، وأعطى ابا النضير عشرين ألفا ، وأعطى اشجع وقد انشد معهم ثلاثة آلاف ، وكان ذلك في اول اتصاله به ،

فكتب أشجع اليه :

أعطيت مروان الثلا ثين التي دلت رعاثه
وأبا النضير وانما أعطيتني معهم ثلاثة
ماخانني خودالقريض[1] ولا اتهمت سوى الحداثة

فأمر له بعشرين الف درهم اخرى .

وحكى انه كان عند جعفر ابو عبيدة الثقفي ، فقصدته خنفساء فأمر جعفر بازالتها ، فقال ابو عبيدة : دعوها عسى تأتني بقصدها لي خيرا فانهم يزعمون ذلك ، فأمر له جعفر بالف دينار وقال : تحقق زعمهم ، ثم قصدته ثانيا فأمر له بألف دينار اخرى .

وعن ابن القادسي ان جعفرا اشترى جارية بأربعين الف دينار فقالت لبائعها : اذكر ما عاهدتني عليه انك لاتأكل لي ثمنا ،فبكى مولاها وقال : اشهدوا انها حرة وقد تزوجتها ، فوهب له جعفر

---

(١) الخود : السرعة في السير ، وخود القريض التسرع والانطلاق في قول الشعر .

المال ولم يأخذ منه شيئا .

وقيل : انه حج في سنة فاجتاز في طريقه بالعقيق وكانت سنة مجدبة ، فاعترضته امرأة من بني كلاب وانشدته :

اني مررت على العقيق واهله يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرّهم اذ كان جعفر جارهم ان لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء .

« الطرف الخامس »

في نبذة من اخبار الفضل بن يحيى بن خالد .

كان من أكثرهم كرما مع كرم البرامكة وكثرة جودهم ، وكان اكرم من أخيه جعفر أيضا ، وكان جعفر ابلغ في الرسائل والكتابة ، وكان الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر ثم نقلها الى جعفر ، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد ، والخيزران ام الرشيد ارضعت الفضل ، فكانا اخوين من الرضاع ، وفي ذلك يقول ابن ابي حفصة :

كفى لك فخرا ان اكرم حرة غذتك بثدى والخليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالدا في المشاهد

عن الجهشياري ان الرشيد ولي جعفر بن يحيى الغرب كله من الانبار الى افريقية في سنة ست وسبعين ومائة ، وقلد الفضل الشرق كله من شروان الى اقصى بلاد الترك ، فأقام جعفر واستخلف على عمله ، وشخص الفضل الى عمله فلما وصل الى خراسان أزال سيرة الجور وأحرق دفاتر البقايا ، وكان مبلغه اكثر من عشرين ألف ألف درهم ، وزاد الجند ووصل القواد والكتّاب ، ثم كر راجعا الى العراق ، وفيه يقول القائل :

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة رأيت بها عشب السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة ولا بمكتّب في ثرى الارض ينكت

ومدحه اسحاق بن ابراهيم الموصلي بأبيات منها :

لو كان بيني وبين الفضل معرفة
فضل بن يحيى لاعداني على الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره
والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

ودخل عليه مسلم بن الوليد فأنشده قصيدته التي اولها :

تعز فقد مات الهوى وانتهى الجهل
فرد عليك الحلم ما قدم العذل

قال : فطرب الفضل وأمر بأن تعد الابيات ، فعدت فكانت

ثمانون بيتا فأمر له بثمانين ألف درهم ، ويقول فيها :

اتتك المطايا تهتدى بمطية عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل
وردن رواق الفضل فضل بن جعفر فحط الثناء الجزل نائله الجزل
فتى ترتع الآمال مزنة جوده اذا كان مرعاها الاماني والبطل
تساقط يمناه ندى وشماله ردى وعيون القول منقطه الفضل

ثم أمره بالجلوس وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه وهي في غاية الجمال ، فلمح الفضل مسلما ينظر اليها ، فقال له : يا أبا الوليد كأنها اعجبتك فقل فيها ابياتا حتى اهبها لك ، فانشأ يقول :

ان كنت تسقين غير الراح فاسقيني
كأسا ألذ بها من فيك تشفيني
عيناك راحى وريحاني حديثك لي
ولون خديك لون الورد يكفيني
اذا نهائي عن شرب الطلا حرج
فخمر عينيك يغنيني ويجزيني
لولا علامات شيب لو اتت وعظت
لقد صحوت ولكن سوف تأتيني
أرضى الشباب فأن اهلك فعن قدر

وان بقيت فان الشيب يسليني

فقال له الفضل : خذها بورك لك فيها ، وأمر بتوجيهها اليه.

واعترضه وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فقطع به وأخذ جميع ما كان معه ، فأخذ بعنان دابته وقال :

سأرسل بيتا ليس في الشعر مثله

يقطع اعناق البيوت الشوارد

اقام الندى والبأس في كل منزل

اقام به الفضل بن يحيى بن خالد

فأمر له بمائة الف درهم .

واتاه ابو الهول الشاعر معتذرا وكان قد هجاه قبل ذلك ، فقال من أبيات :

ومالي الى الفضل بن يحيى بن خالد

من الجرم ما يخشى على مثله الحقد

فخذ بالرضى لا ابتغى منك غيره

ورأيك فيما كنت عودتني بعد

فقال الفضل : لا أحتمل تفريقك بين رضاي واحساني وهما مقرونان ، فان اردتهما معا والا فدعهما معا ، ثم وصله ورضي عنه.

وقيل : انه قال له ويلك بأي وجه تلقاني ؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به الله عز وجل وذنوبي اليه اكثر من ذنوبي اليك ، فضحك ووصله .

وقال ابو النضير مادحا له :

وللناس معروف وفيهم صنائع
ولن يجبر الاحزان الاجدى الفضل
اذا ما العطايا لم تكن بر مكية
فتلك العطايا ماتمر وما تحلى

فلما سمعها اعطاه حتى اغناه ، وقال بعض الشعراء :

مالقينا من جود فضل ابن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

وغضب الرشيد على العتابى الشاعر ، فشفع له الفضل فرضى عنه ، فقال :

ما زلت في غمرات الموت مطرحا
يضيق عني وسيع الرأي والحيل
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لي
حتى اختلست حياتي من يدي اجلى

ودخل عليه رجل فقال : ان أمي اخبرتني انها لما ولدتني قيل لها قد ولد في هذه الليلة ليحى بن خالد غلام وسماه الفضل فسمتني امي فضيلا ، فقال له : كم اتى عليك من السنين ؟ قال :

خمس وثلاثون . قال : صدقت هذا المقدار الذي أعد . ثم قال: فما منعك من اللحاق بنا ؟ قال : لم أرض نفسي للقائك . فقال : يا غلام اعطه لكل عام مضى من سنه ألف درهم ، واعطه عشرة آلاف درهم يجمل بها نفسه ، ثم اعطاه مركوبا سريا .

وحكى ان الفضل خرج يوما للصيد وهو في موكبه اذ جاء اعرابي يركض على بعير ، فسلم عليه ولم يعرفه ، فسأله الفضل عن شأنه وقصته ؟ فقال : اني قدمت من قضاعة قاصدا الفضل ابن يحيى . فقال : وما معك ؟ قال : بيتان من الشعر . فقال : انشدنيهما فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه والا بررتك بشيء من مالي ورجعت الى اهلك . فقال :

ألم تر ان الجود من عهد آدم
تحدر حتى صار يمتطه الفضل
ولو أن أما مسها جوع طفلها
غذته بأسم الفضل لاغتذى الطفل

فقال : احسنت يا أخا العرب ، فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر قبلك وأخذ الجائزة عليهما ماتقول؟قال أقول:

قد كان آدم حين حان وفاته اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

فجعل الفضل كلما ينشده يقول له لو قال ان غيرك قالها فيقول اذن اقول وينشد غيرها ، والابيات هذه :

ملت جهابذ فضل وزن نائله ... ومل كاتبه احصاء مايهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة ... خلق ولم يرتفع مجدولا حسب

* * *

وللفضل صولات على مال نفسه ... يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال أبصر ماله ... لصلى على مال الامير وأذنا

* * *

ولو قيل للمعروف ناد أخا العلى
لنادى بأعلى الصوت يافضل يافضل
ولو انفقت جدواك من رمل عالج [1]
لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

* * *

وما الناس الا اثنان صب [2] وباذل
وأني لذاك الصب والباذل الفضل

---

(١) عالج : اسم واد كثير الرمل ، يضرب برمله المثل .

(٢) الصب : العاشق المشتاق ، ويكنى به عن البخيل لحبه المال وشدة اشتياقه اليه .

على ان لي مثلا كمـــا ذكر الورى
وليس لفضل في سماحتـــه مثـــل

* * *

حكى الفضل عن يحيى سماحـــة خالد
فقامت به التقوى وقام به العـــدل
وقـــام به المعروف شرقا ومغربا
ولم يـــك للمعروف بعد ولا قبل

ثم قال له الفضل : فان قال انشدني بيتين لاعلى الاسم ؟ قال أقول :

ألا يا أبا العباس ياواحد الورى
ويا ملكـــا خد الملـــوك له نعـــل
اليك تسير النـــاس شرقا ومغربا
فرادى وازواجا كأنهم نحـــل

فقال له : احسنت يا أخا العرب ، فان قال لك انشدني غيرها. فقال : والله لئن امتحنني بعد ذلك لأقولن اربعة ابيات ما سبقني اليها أحد ، ولئن استزادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في حر أم الفضل . فقال له : انشدني الابيات فقال :

ولائمة لامتك يافضل في النـــدى

فقلت لها هـل يقدح اللوم في البحر

اتنهين فضـلا عن عطاياه للغنى

فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر

كأن نوال الفضل في كـل بلدة

تحـدر هـذا المزن في مهمه قفر

كأن وفود النـاس في كل وجهـة

الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال : فسقط الفضل على وجهه من الضحك ثم قال له : يا أخا العرب انا الفضل بن يحيى فسل حاجتك فقال له : اقلني فقال له : أقالك الله اذكر حاجتك . قال : عشرة آلاف درهم . فقال : اعطوه عشرة في عشرة آلاف . فقال له بعض جلسائه : هذا أسراف يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات استرقها من اشعار العرب فتعطيه هذا المال ، فأخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه واومأ به الى الاعرابي وقال له : رد سهمي ببيت من الشعر ، فأنشأ يقول :

لقوسك قوس الجود والوتر والندى

وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال : فضك الفضل وانشأ يقول :

اذا ملـكت كفى منالا ولم انل

فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي

على الله اخـلاف الذي قـد بذلته

فلا مسعدي بخلي ولا متلفي بذلي

أروني بخيـلا نال مجـدا ببخله

وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال : أعطو الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ، ومائة الف درهم ليكفينا شر قوائم بعيره . فأخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي ، فقال له الفضل : مم بكاؤك يا أعرابي ؟ فقال : ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقـد مال ولا فرس يموت ولا بعـير

ولـكن الرزية فقـد حر يموت لموته خلـق كثـير

ثم توجه الاعرابي بالمال مسرورا .

يقول المؤلف : وبعض هذه الابيات تنسب في حق غيره ، ولها حكايات مسطورة في مواضعها ، والله اعلم بالصواب .

« الطرف السادس »

في نكبة البرامكة .

روى ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة عن مسافر قال : كنت مع ابي الحسن الرضا عليه السلام بمنى ، فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطى وجهه بمنديل من الغبار ، فقال الرضا عليه السلام : مساكين هؤلاء لايدرون ما يحل بهم في هذه السنة ، فكان من أمرهم ما كان .

ثم قال : واعجب من هذا أنا وهارون كهاتين — وضم اصبعيه السبابة والوسطى — قال مسافر : فوالله ما عرفت حديثه في هارون الا بعد موت الرضا ودفنه الى جانبه .

وحكى : ان جعفرا لما أحس بتغير الرشيد وكان في الحيرة دخل الى كنيسة فوجد فيها حجرا وعليه كتابة لاتقرأ ، فأحضر تراجمة الخط وجعله فألا من الرشيد لما يخافه ويرجوه ، فقرأ فاذا فيه :

ان بني المنـــذر عام انقضوا بحيث شاد البيعـــة الراهب
اضحوا ولا يرجوهم راغـــب يوما ولا يرهبهم راهـــب

ينفح بالمسك دفاريهم والعنبر الورد له قاطب
فأصبحوا اكلا لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر وقال : ذهب والله أمرنا .

وحكى أيضا ان جعفرا في آخر أيامهم أراد الركوب الى دار الرشيد ، فدعى بالاصطرلاب ليختار وقتا وهو في داره على الدجلة ، فمر رجل في سفينة وهو لايراه ولا يدري ما يصنع والرجل ينشد .

يدبر بالنجوم وليس يدري ورب النجم يفعل ما يريد

فضرب بالاسطرلاب الارض وركب .

واختلف في سبب فتك الرشيد بهم : قيل من السبب أن الرشيد لما ظفر بيحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي علية السلام سلمه الى جعفر ، فرق له جعفر واطلقه سرا ، فبلغ الفضل بن الربيع ذلك وكان يحسده لمنزلته عند الرشيد ، فرفعه الى الرشيد فأضمر الرشيد له السوء . وقيل من السبب انه رفعت الى الرشيد رقعة لم يعرف صاحبها ، وكتب فيها :

قل لأمين الله في أرضه ومن اليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود الى امره وأمره ليس له رد

وقد بنى الدار التي ما بنى الفرس لها مثلا ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها وتربها العنبر والند
ونحن نخشى انه وارث ملكك ان غيبك اللحد
ولن يباهي العبد اربابه الا اذا ما بطر العبد

واعظم الاسباب خيانته في اخته . عن أبي ثور زاهر بن صقلاب انه قال : بلغني انه كان مجلس للرشيد بالليل مع جعفر، فقال له يوما : لايطيب لي ذلك الا بمحضر أختي ميمونة ، ولكن لايجوز ذلك الا أني كتبت لك عليها أباحة النظر من غير ان تقربها، فأتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها ، فولعت به وكان لجعفر امرأة تزين له الجواري في كل ليلة ، فجاءت ميمونة وأرشتها بمال فزينتها له وأدخلتها عليه ، فظن انها جاريته فواقعها، فلما أصبحوا قالت له : انا ميمونة وقد كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك ، وان لم تواضب لأكونن سببا في زوال نعمتك وهل انت الا زوجي ؟ فقال لها جعفر : ويحك اهلكتيني واهلكت نفسك ، وكان كما قال ولم يزرها حتى ظهر أمرها للرشيد — انتهى .

والذي عليه اكثر المؤرخين ان التي زوجها اياه هي اخته عباسة بنت المهدي . وذكر ابن خلكان انها أرسلت الى عتابة أم

جعفر ان تحتال لها وتدخلها عليه فامتنعت فتهددتها فاحتالت لها، وكانت امه ترسل اليه في كل جمعة جارية ، فأرسلتها اليه ، فلما دخل بها وعرفها ذهب الى أمه وقال لها: يا أماه بعتيني والله رخيصا، وانها ولدت له ولد ، ولما خافت ظهور الامر بعثته الى مكة .

وعن المبرد عن المارستاني عن يحيى بن أكثم قال : سألت اسمعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة ؟ قال ما ملخصه : السبب في ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد ، فبينما نسير اذ نظر الى موكب بالبعد ، فقال لي : يا اسماعيل لمن هذا ؟ فقلت : لأخيك جعفر . فالتفت يمينا وشمالا الى من معه في موكبه فاذا هو شر ذمة يسيرة ، ثم نظر فقال : ما فعل جعفر ؟ فقلت : قد مضى . فقال : ما رآنا اهلا يزيننا بموكبه . فقلت : لو علم بمكانك ما تعداك ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة — وكان الطريق يدور عليها ، فدرنا حتى وردنا باب القرية ، فنظر الرشيد الى البيدر[1] وكثرة الغلات والمواشي ، فقال لي : لمن هذه الضيعة ؟ فقلت : لأخيك جعفر . فتنفس الصعداء ثم سرنا ولم يزل يمر بكل ضيعة أعمر من الاخرى ويسألني عنها ، فأقول له هي لجعفر ، حتى

(١) البيدر : الموضع الذي يداس فيه الطعام .

وصلنا الى المدينة فقال : يا اسمعيل انظر الى البرامكة أغنيناهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا عن أمرهم ، لأني لا أجد لأحد من اولادي ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد قرب هذه المدينة ، فكيف بما هو لهم على غير هذا الطريق وفي سائر البلدان . فقلت في نفسي : بلية والله . ثم قلت : ان البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وجميع ما يملكون لك ، فنظر الي نظرة جبار عنيد ثم قال : ما عد البرامكة بني هاشم الا عبيدهم وانهم هم الدولة . ثم قال لي : اكتم هذا الامر ، فبكرت اليه من الغد وكان في محل يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام ، وبأزائه منزل جعفر من الجانب الغربي ، وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون الى قصر جعفر ، فقال لي : ياسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان وأنا ما على باب داري احد . فقلت : ياامير المؤمنين ان جعفر عبدك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على باب داره فعلى باب من يكون انما بابه باب من ابوابك . فقال : انظر الى دوابهم الست ترى اعجازها الى قصري وتروث بأزائنا ، والله هذا هو الاستخفاف بعينه ، ثم غضب غضبا شديدا ، فقلت في نفسي : هذا قضاء من الله سابق وحكم لامحالة

واقـع .

ثم انصرفت فدخل عليه جعفر فرحب به ووهب له خادما من خاصة خدمة ، وكان دسيسا عليه يرفع أخباره الى الرشيد ، فكتب اليه كلاما لجعفر فلما وصله احتجب متفكرا في ايقاع الحيلة بهم ، فدخل على زبيدة وشكى لها ما في قلبه وقال لها : اني خائف ان يخرج الامر من يدي ان تملكوا خراسان وتغلبوا عليها، وكان الرشيد قد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وخلع عليه وعقد له لواءاً وعسكرا بالنهروان ، وضرب الناس مضاربهم وهم متأهبون للسفر ، وكان بين جعفر وزبيدة عداوة قديمة فقالت له : مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق ، فأن كنت افقت من سكرتك أخبرتك بما هو اصعب عليك ، فقال لها : قولي اسمع منك . فقالت : احضر ارجوان الخادم وتشدد عليه فأنه يعرفك الخبر ، فأستدعى به وتهدده فقال له : ان جعفرا خانك في اختك وقد دخل بها منذ سبع سنين، وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد أنفذهما الى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهي حامل بالرابع ، فقال له: لم لاأخبرتني حين حدثت هذه الحادثة فأمر بضرب عنقه ؟ !

ثم دعى بخادمه مسرور — وكان قاسى القلب — فقال له : اذا كان بعد العتمة فأتني بعشرة من الفعلة ومعهم خادمان ، ففعل ذلك فأتى المقصورة وأمر الخادمين بأدخال اخته في صندوق كبير بعد قتلها ، فوضعوها بحليها وثيابها كما هي ، وقفل عليها ثم حفروا في تلك المقصورة حتى بلغوا الماء ثم ادلوا الصندوق في الحفرة وردوا التراب عليها .

ثم قال : يامسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم أجرتهم ، فأخذهم مسرور وجعلهم في جوالق وخيط عليهم بعد أن اثقلهم بالصخر ورماهم في وسط الدجلة. ثم في اليوم الثاني دخل عليه جعفر فرحب به وضحك في وجهه ، فأخرج له الكتب الواردة عليه ، فنفذ الامور وقضى حوائج الناس ، ثم استأذنه في الخروج الى خراسان فقال له الرشيد : هذه ساعة نحس ولا أرى الا أنه يحدث فيها حدث ، ولكن تصلى الجمعة وترحل ، فانصرف جعفر الى منزله. فقال الرشيد لمسرور : اطلبه الى الدار واضرب عنقه ، فطلبه وضرب عنقه وأخذ رأسه الى الرشيد .

والذي عليه اكثر المؤرخين أن الرشيد لما عزم على الفتك بالبرامكة حج ومعه جعفر ، وكان قصده التفحص عن أمر الصبى أو الصبيين ، فكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة أن يخرجا

بالصبي الى اليمن ، فلما صار الرشيد الى مكة اوكل الى من يثق به البحث عن أمر الصبي ، فوجد الامر صحيحا ، فلما رجع من الحج خرج الى الانبار وكان قتل جعفر في الانبار سنة سبع وثمانين ومائة ، ثم أمر بحمل جثته الى بغداد وصلبها على الجسر بعد أن مثل بها .

وذكر ابن خلكان والمسعودي ان الذي قتل جعفر هو ياسر الخادم وانه لما دخل عليه وجد أبو بكار أو زكار الاعمى يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى
عليه الموت يطرق أو يغادي (١)
وكل ذخيرة لابد يوما
وان بقيت تصير الى نفاد
ولو فوديت من حدث الليالي
فديتك بالطريف وبالتلاد

وانه لما قتل جعفر أمر بضرب عنقه ، وقال : لا اقدر أرى قاتل جعفر .

وقال آخر مؤيدا لما سبق : ان الذي دخل عليه هو مسرور ، وانه لما ضرب عنقه قال ابو بكار : ناشدتك الله الا ما ألحقتني به

---

(١) يطرق : يأتي ليلا . ويغادي : يأتي نهارا .

فقال : لماذا ؟ فقال : لأنه اغناني عن الناس ، فأخبر الرشيد فقال : دعه فأنه رجل فيه مصطنع .

قال اسمعيل : ثم التفت الرشيد بوجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على أبيه وأخيه وجميع أولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم .

وعن السندي بن شاهك انه قال: رأيت ليلة من الليالي في المنام جعفر بن يحيى وهو لابس ثوب مصبوغ بالعصفر وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا

صروف الليالي والجدود العواثر

فأنتبهت فزعا وقصصتها على أحد خواصي ، فقال : اضغاث احلام ، فعاودت مضجعي واذا بالباب تدق ، ففتحتها فصعد سلام الابرش ومعه كتاب من الرشيد يأمرني بقبض يحيى والفضل وبقية اولاده .

رجعنا الى حديث اسمعيل : ثم وجه مسرورا الى العسكر ، فأخذوا جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك ، فلما أصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف انسان ، وترك من بقي منهم لايرجع الى وطنه ، وشتت

شملهم في البلاد ، ولم يقدر أحد منهم على كسرة خبز ، وحبس أباه يحيى وأخاه الفضل في مطمورة، وأمر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ، ثم بعث الى خراسان علي بن عيسى بن ماهان وولاه عليها ، ووجه الى مدينة النبي صلى الله عليه وآله فأتي بالصبيين فأعجب بهما وكانا في غاية الحسن والجمال والفصاحة، ثم دعى بجماعة من الغلمان وأمرهم بأن يحفروا في البيت حفرة عميقة ، ودعى مسرورا وأمره بقتلهما ودفنهما في تلك الحفرة .

وعن كتاب الانيس والجليس : لما قتل جعفر بن يحيى وصلب بباب العمرو ورأسه في ناحية وبدنه في ناحية مرت به امرأة على حمار فاره فوقفت عليه ثم نظرت الى الرأس وقالت بلسان فصيح : والله لإن صرت اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية ، ثم قالت :

ولما رأيت السيف خالط جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت انما ... قصارى الفتى فيها مفارقة الدنيا
وما هي الا دولة بعد دولة ... تحول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
اذا أنزلت هذا منازل رفعة ... من الملك حطت ذا الى غاية سفلى

ثم مرت مسرعة .

ولما قتل جعفر قال ابو نؤاس : والله مات الكرم والجود

والفضل والادب . فقيل له : ألم تكن تهجوه في حال حياته ؟ فقال : ذاك والله لشقائي وركوبي الى هواي ، وكيف يكون مثله في الجود والادب انه لما سمع قولي فيه :

لقد غرني من جعفر حسن بابه ... ولم أدر ان اللؤم حشو اهابه
ولست اذا أطنبت في مدح جعفر ... بأول انسان خرى في ثيابه

بعث الي بعشرين ألف درهم وقال : اغسل ثيابك بها .

قال الرقاشي يرثي جعفرا :

هدا الخالون من شجوى فناموا ... وعيني لا يلائمها منام
وما سهرت لأني مستهام ... اذا أرق المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتني ... فلي سهر اذا هجد النيام

الى ان قال :

على المعروف والدنيا جميعا ... لدولة آل برمك السلام
فلم أر قبل قتلك يا ابن يحيى ... حساما فله السيف الحسام
أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام

وقال أيضا يرثيه وأخاه الفضل :

ألا ان سيفا برمكيا مهندا ... اصيب بسيف هاشمي مهند
فقل للمطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي

وقال علي بن أبي معاذ :

يا أيهـــا المغتر بالدهر ... والدهر ذو صرف وذو غـير
لا تأمن الدهـر وصولاتـه ... وكن من الدهر على حـذر
ان كنـت ذو جهل بتصريفـه ... فأنظر الى المصلوب بالجسر
فان فيـه عبرة فأعتبـر ... ياذا الحجى والعقـل والفكر
وخـذ من الدنيا صفا عيشها ... وأجر مع الدهر كما يجري
فبينمـا جعفر في ملـكه ... عشيـة الجمعـة بالقمر (١)
يطير في الدنيـا بأجناحـه ... بأهل طول الجـلد والعمر
اذ عثر الدهـر به عثرة ... يا ويلنـا من عثرة الدهر
وزلت النعـل به زلـة ... كانت له قاصمـة الظهـر
وأصبح الفضل بن يحيى وقد ... أحيط بالشيخ وما يـدري
وجيء بالشيـخ وأولاده ... يحيى يعاني الغـل والاسر
والبرمكيين واتبـاعهم ... من كـان في الآفاق والمصر
كأنمـا كانوا على موعـد ... كموعـد الناس الى الحشر
واصبحوا للنـاس أحـدوثة ... سبحان ذي السلطان والامر

وقال صالح الاعرابي :

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك ... وأي ملوك لم تخنها دهورها

---

(١) القمر : موضع بالانبار كان فيه مقتل جعفر البرمكي .

ألم يك يحيى والى الارض كلها فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال أشجع السلمى من أبيات :

كأن ايامهم من حسن بهجتها مواسم الحج والاعياد والجمع

ثم ان الرشيد جمع بقية البرامكة في سجن واحد وجعل حينا يوسع عليهم وحينا يضيق عليهم حسبما ينقل اليه عنهم . ثم انه تفحص وبحث عن أموالهم حتى استصفاها .

وحكى ان الرشيد سيّر يوما مسرورا الخادم الى السجن الى الفضل فأتاه وقال له : ان الرشيد يقول لك اني قد أمرتك ان تصدقني عن أموالكم ، فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي انك قد ابقيت لك أموالا كثيرة ، وقد أمرني ان لم تطلعني على المال ان اضربك مائتي سوط وأرى لك ان لاتؤثر مالك على نفسك فقال له الفضل : والله ما كذبت فيما اخبرت به ، ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا أو ان اضرب سوطا واحدا لاخترت الخروج ،وهو يعلم ذلك وأنت تعلم انا كنا نصون أعراضنا بأموالنا فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا ، فان كنت قد أمرت بشيء فامض له ، فضربه مائتي سوط وتولى ضربه الخدم فضربوه أشد الضرب لانهم لايحسنون الضرب ، فكادوا أن يتلفوه .

وكان هناك رجل بصير بالعلاج ، فطلبوه لمعالجته فقال :

يحتاج ان ينام على ظهره على بارية [١] وادوس صدره ، فجزع الفضل من ذلك ثم اجاب اليه ، فألقاه على ظهره وداس صدره ثم اخذ يديه فجذبه من على البارية فتعلق بها من لحمه شيء كثير ، ثم اقبل يعالجه حتى برىء ونبت في ظهره لحم حي .

ثم ان الفضل اقترض من بعض اصحابه عشرة آلاف درهم وسيرها اليه فردها عليه فأعتقد انه قد استقللها ، فأقترض عشرة آلاف أخرى وسيرها فأبى ان يقبلها ، وقال : ما كنت آخذ على معالجة فتى من الكرام أجرا .

وكان الفضل ينشد وهو في السجن هذه الابيات :

الى الله فيما نالنا نرفع الشكوى ففي يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا

اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال اسماعيل : ووجد الرشيد يوما تحت مصلاه رقعة فزادت في غيظه ، فأستدعى في الوقت بالفضل وضربه سياطا حتى كاد أن يهلكه ، وزاد في حديده واغلاله ، ثم استدعى بيحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ، وكان قد نشىء في النعيم ،

(١) البارية : الحصير المعمول من القصب .

فتذكر يحيى فقد جعفر وتشتت الاهل ،فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه وكتب فيه :

قل للخليفة ذي الصنا ئع والعطايا الفاشيه
ان البرامكة الذين رموا لديك بداهية
عمتهمو لك سخطة لم تبق منهم باقية
فكأنهم مما بهم أعجاز نخل خاوية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية
مستضعفون ومطرّدو ن بكل أرض قاسية
بعد الامارة والوزا رة والامور السامية
ومنازل كانوا بها فوق المنازل عالية
أضحوا وجل مناهم منك الرضا والعافية
يامن يريد لي الردى يكفيك ويحك مابيه
يكفيك اني مستباح عترتي ونسائيه
يكفيك ما ابصرته ذلى وذل مكانيه
فلقد رأيت الموت من قبل الممات علانية
وبكاء فاطمة الكـ ـبيرة والدموع الجارية
ومقالها بتفجع ياسوأتى وشقائيه
من لي وقد غلب الزما ن على جميع رجاليه

يا عطفة الملك الرضا عودي علينا ثانية

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات:

يا آل برمك انكم كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو وكفرتمو نعمائيه
هذا عقوبة من عصى من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكمو ما ختمتموه علانية

ثم اردفه بقوله تعالى : «وضرب الله مثلا قرية كانت مطمئنة» الآية . فلما قرأها يحيى اخذته الحمى لوقته وساعته ، وكان ينام على التراب وأيس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن .

وعن الجهشياري ان يحيى اشتهى في وقت من الاوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة ، فلم يطلق له اتخاذها الا بمشقة ، فلما فرغ منها سقط القدر من يد المتخذ له فأنكسر ، فأنشد يحيى ابياتا يخاطب بها الدنيا ومضمونها اليأس وقطع الاطماع .

وقيل : واشتهى يوما لحما في قدر طباخ ، فغرم ألف دينار حتى اتى بقدر ولحم مقطع ، فأوقد تحت القدر وجعل ينفخ النار ولحيته تمس الارض حتى كادت روحه أن تخرج ، فلما انضجت

فتت الخبز وعمد لينزلها فأنكسر القدر على الارض ، فبقى يلتقط اللحم ويمسح منه التراب ويأكله ، وذهب المرق الذي كان يشتهيه .

وكان الفضل كثير البر بأبيه ، وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد في زمن الشتاء ، فيحكى أنهما لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء ، فكان الفضل يأخذ الابريق النحاس وفيه الماء فيلصقه الى بطنه زمانا عسى أن تنكسر برودته لحرارة بطنه حتى يستعمله ابوه بعد ذلك .

قال الاتليدي : ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج للحج ومعه العسكر ، واتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو في السجن ،فكتب رقعة واوصى ولده الفضل ان يوصلها الى الرشيد ، وكتب فيها هذه الابيات :

ستعلم في الحساب اذا التقينا ... غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن أناس ... من الدنيا وينقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا ... وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال : فلما قدم الرشيد أنفذها الفضل اليه ، فلما قرأها علم

بموته فقال : مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء ، والله لو كان حيا لفرجت عنه (انتهى) .

وقيل : وجد في جيب يحيى بعد موته في الحبس رقعة فيها: قد تقدم المدعى والخصم في الاثر والحاكم لايحتاج الى بينة ، فلما وقف عليها الرشيد بكى وكانت وفاته سنة تسعين ومائة .

ومن كلام يحى لما نكب : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة .

وقال الا تليدي : ثم أمر بأطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر .

وذكر ابن خلكان ان الفضل مات بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وان الرشيد لما سمع بموته قال : ان أمرى قريب من أمره ، فكان كذلك .

« الطرف السابع »

في حوادث وقعت بعد نكبتهم .

ثم ان الرشيد بعد فتكه بالبرامكة استوزر الفضل بن الربيع، وكان من عوامل فتك الرشيد بالبرامكة ، وفي ذلك يقول ابو

تؤاس :

ما رعى الدهر آل برمك لما ان رمى ملكهم بأمر فظيع
ان دهرا لم يرع عهدا ليحى غير راع ذمام آل الربيع

وكان الرشيد بعد قتل البرامكة اذا ذكروا عنده بسوء ينشد :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللؤم اوسدوا مكان الذي سدوا

وكان كثيرا ما يقول : حملونا على نصحائنا وكفاتنا ، وأوهمونا انهم يقومون مقامهم ، فلما صرنا الى ما أرادوا لم يغنوا عنا .

وقيل : انه خرج يوما للصيد بعدما أباد البرامكة ، فأجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك ، فرأى لوحا مكتوب عليه هذه الابيات :

يامنزلا لعب الزمان بأهله فأبادهم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم فيما مضى كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزع من رآك وطالما كنا اليك من المخاوف نفزع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقى الذين حياتهم لاتنفع

قال : فبكى الرشيد .

قيل : انه وجد بعد الواقعة على باب قصر علي بن عيسى

ابن ماهان بخراسان كتاب بقلم جلى :

ان المساكين بني برمك صب عليهم غير الدهر
ان لنا في موتهم عبرة فليعتبر ساكن ذا القصر

وعن محمد بن غسان صاحب صلات الكوفة قال :دخلت على والدتي في يوم فحر ، فوجدت عندها امرأة بارزة المحاسن في ثياب رثة ، فقالت لي والدتي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا . قالت : هذه عتابة أم جعفر البرمكي ، فأقبلت عليها بوجهي واكرمتها وقلت لها : أصار بك الدهر الى ما ارى ؟ فقالت : يا بني ان الذي كنا فيه كان عارية ارتجعه الدهر منا . ثم قلت : يا اماه ما أعجب ما رأيت ؟ قالت : اتى على يابني عيد مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسي اربعمائة وصيفة ، واني لأعد ابني عاقا لي ، ولقد اتى علي هذا العيد وما اتمنى الا جلد شاتين افترش احدهما وألتحف الاخرى . قال : فغمني ذلك وأبكاني ، فدفعت لها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها .

عن محمد بن يزيد الدمشقي قال : بعث الفضل بن يحيى خلفي في بعض الليالي ولم تكن لي به معرفة سابقا ، فلما دخلت وجدت مجلسا عظيما فيه يحيى والفضل وجعفر والقضاة والعدول والفقهاء والتجار وجميع اهل الدولة ، فلما استقر المجلس اخرج

مولود للفضل ووضع في وسط القوم، ثم قام الشعراء واحدا بعد واحد كل منهم يهنئه بطلعة المولود ، فلما فرغوا نثرت عليهم الدنانير ملتوتة بالمسك ، فما بقى أحد منهم الا أخذ في كفه واخذت أنا من جملتهم ، فلما انقض المجلس وبقى الفضل وحده قال لي : قد سمعت ما كان والله ما اعجبني شيء من اشعارهم ، وقد احببت ان تقول في ذلك شيئا ، فخطر ببالي هذان البيتان فقلت :

وتفرح بالمولود من آل برمك عيون الندا والجود والبذل والفضل
ويعرف فيه الخير عند ولاده ولا سيما ان كان والده الفضل

فأمر لي بعشرة آلاف دينار ، فتوجهت الى منزلي وانا من أشد الناس فرحا ، فلما اصبحت اشتريت ارضا وعقارا وفتح الله علي وكثر مالي وعظم جاهي ، فما اقمت الا يسيرا حتى دارت على البرامكة الدائرة وكان من أمرهم ما كان ، فبعد سنين كثيرة اتفق ان دخلت الحمام وطلبت من يدلكني ، فدخل على غلام حسن الوجه فدلكني ، فلما استلقيت على قفاي تذكرت أيام البرامكة والفضل وان جميع ما املكه من عنده ، فقلت :

وتفرح بالمولود من آل برمك . . قال : فرأيت الغلام تغير وسقط مغشيا عليه ، فلما أفاق قال لي : من قائل هذين البيتين ؟ قلت : أنا . قال : فيمن قلتهما ؟ قلت : في ولد للفضل بن يحيى . فقال:

أنا ولد الفضل وفي قلتهما . قال : فوثبت وقبلت رأسه وما بين عينيه وقلت له : ياسيدي انا والله عبدك وجميع ما أملكه لابيك ومالي ولد يرثني ولا قرابة ، وأنا شيخ كبير وقد عزمت ان أحضر شاهدين وأشهدهما ان جميع ما املكه لك واكون اعيش في فضلك الى ان أموت قال : فتغرغرت عيناه بالدموع وقال : لا والله لا ارجع في شيء وهبه لك ابي ، ثم اقسمت عليه فلم يجبني وتركني ومضى ، وكان آخر العهد به .

عن العمر اني المؤرخ قال : حدث فلان قال : دخلت الديوان فنظرت في بعض تذاكر النواب فرأيت فيها اربعمائة ألف دينار ثمن خلعة لجعفر بن يحيى ، ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن قفط وبواري لاحراق جثة جعفر بن يحيى ، فعجبت من ذلك .

عن كتاب الاغاني : ان دنانير جارية يحيى بن خالد كانت من أحسن الناس وأظرفهم واكملهم ادباً واكثرهم رواية للشعر وضروب الغناء ، ولها كتاب مجرد في الاغاني ، فلما جرى على البرامكة ما جرى أحضرها الرشيد وأمرها ان تغني ، فأبت وقالت : اني آليت على نفسي أن لا أغني بعد سيدي أبدا ،

فغضب الرشيد وأمر بصفعها [١] فصفعت واقيمت على رجليها ، واعطيت العود فأخذته وهي تبكي أشد بكاء ، فأندفعت وغنت:

يادار سلمى بنازح السند من للثنايا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست أيقنت ان النعيم لم يعد

فرق لها الرشيد وأمر بأطلاقها فأنصرفت وهي تبكي .

قال ابن ابي حجلة : كان يتصدق عنها يحيى مولاها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار ،لانها كانت لاتصومه مما اصابها من العلة الكلبية .

وحكى ان شيخا في زمن المأمون كان يجلس على كرسي في خرائب دور البرامكة ويندبهم ويبكي عليهم ، فطلبه المأمون فقال له : بما استوجبت منك البرامكة ما تفعله ؟ فقال : يا امير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك ، وقد زالت عني نعمتي وركبني الدين ، فأشاروا علي بالخروج الى البرامكة ، فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ، فلما دخلنا بغداد نزلنا في بعض المساجد ، فتركت اهلي جياعا وخرجت أسأل عن البرامكة ، فاذا بمسجد

---

(١) صفعها : ضرب قفاها بجمع كفه لاشديدا ، وقيل : هو أن يبسط كفه فيضرب .

مزخرف وفيه جماعة جلوس ، فدخلت المسجد وجلست بين أيديهم والعرق يسيل مني ، فاذا بخادم دعى القوم فتبعتهم فدخلوا دار يحيى فاذا هو جالس على دكة وسط بستان له ، فلما جلسنا دخل علينا من بعض المقاصير غلام وبين يديه مائة خادم متمنطقون بالذهب مع كل خادم مجمرة من ذهب فيها العود والعنبر ، فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ، فقال يحيى للقاضي : تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن أخي هذا ، ففعل وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر ، واذا بمائة واثنى عشر خادما قد أقبلوا ، ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار ، فوضعوا بين يدي كل رجل صينية فرأيت القاضي والمشائخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقومون الاول فالاول حتى بقيت وحدي ، فجسرت واخذت الصينية وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت اتلفت الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب ، فبينما أنا كذلك اذ طلبني يحيى فقال : مالي أراك تتلفت ؟ فقصصت عليه قصتي ، فدعي بولده موسى وقال له : ان هذا رجل غريب فخذه اليك ، فأدخلني داره واكرمني غاية الاكرام ، فلما أصبح دعي بأخيه العباس وقال له : الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى

وقد علمت أشغالي فاقبضه اليك ، ففعل واكرمني غاية الاكرام ، ثم لما كان من الغد تسلمني أخوه احمد ، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني مدة عشرة أيام لا اعرف خبر عيالي وصبياني ، وفي اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا: قم واخرج الى عيالك بسلام ، فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا ، واستقبلت منها رائحة الندو العود ، واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج ، وحمل الي مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق ، ثم قال لي : مهما لك من الحوائج فادفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به ، واقمت مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لايعلم الناس أمن البرامكة أنا ام رجل غريب ، فلما جاءتهم البلية أجحف لي عمر بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفي دخلهما به ، فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فأندبهم واذكر حسن صنيعهم الي ، فدعى المأمون بابن مسعدة وألزمه بارجاع ما اخذه منه وأفرغهما له .

قال : فعلا نحيب الرجل ، فقال المأمون : قد أحسنا اليك فما

يبكيك ؟ فقال : يا امير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة ، لو لم آتي خراباتهم فأبكيهم لما بلغك خبري .

قال ابراهيم بن ميمون : فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وقال : لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابكى واياهم فاشكرو لهم فأوف .

« لؤلؤة »

وفيها طرفان :

(الطرف الاول)

« في نبذة من اخبار أبي الوليد معن بن زائدة الشيباني » .

كان جوادا شجاعا كثير المعروف جزيل العطاء ممدوحا مقصودا ، وكان في أيام بني امية منتقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري امير العراقين ، فلما انتقلت الدولة الى بني العباس وجرى بين المنصور ويزيد بن عمرو من محاصرته بمدينة واسط ماهو مشهور وقتل يزيد المذكور خاف معن من المنصور فاختفى مدة .

ومن جملة ما جرى له في ايام استتاره ما حكى عنه انه قال : جد المنصور في طلبي وجعل لمن يحملني اليه مالا . قال : فتعرضت

للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لأقيم فيها ، فاذا بأسود متقلدا بسيف قد قبض خطام الجمل وقال : انت معن طلبة امير المؤمنين . فأخرجت له عقدا جوهرا وقلت له : هذا قيمته أضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي. فقال : ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت : لا . قال : فنصفه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر فقلت : اظن اني قد فعلت ذالك . فقال: ان رزقي من المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك ، ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا ، فوالله لقد طلبته بعد ما أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا .

ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية حيث ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور ، وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية ، وهي مدينة بالقرب من الكوفة بناها السفاح ، وكان معن متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكرا متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور وفرقهم عنه . فقال له

المنصور : من أنت ويحك ؟ فكشف عن لثامه وقال : انا طلبتك معن بن زائدة ، فأمنه المنصور واكرمه وكساه وصار من خواصه.

دخل عليه يوما فقال له المنصور : هيه يامعن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان

فقال : كلا انما اعطيته على قوله في هذه القصيدة :

ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

وقال له يوما : ما اكثر وقوع الناس في قومك ؟ فقال :

ان العرانين (١) تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا

ثم بعد ذلك ولاه المنصور اليمن . وفي معن يقول الشاعر :

يقولون معن لا زكاة لماله وكيف يزكى المال من هو باذله

اذا حال حول لم يكن في دياره من المال الا ذكره وجمائله

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت آمله

هو البحر من أي النواحي أتيته ولجته المعروف والبر ساحله

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطعه أنامله

فلو أن مافي كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

---

(١) عرانين جمع عرنين ، وهو السيد الشريف .

ولمروان بن أبي حفصة من قصيدة يمدح بها معن :

أرى القلب امسى بالاوانس مولعا
وان كان من عهد الصبا قد تمنعا
فأمت ركابي ارض معن فلم تزل
الى أرض معن حيث ما كان انزعا
نجائب لولا انهـا سخرت لنـا
ابت عزة من جهلها ان توزعـا
فمـا بلغت صنعاء حتى تواضعت
ذراها وزال الجهل عنهـا واقلعـا
فما الغيث اذ عم البـلاد بصوبه
على الناس من معروف معن بأوسعا
له راحتـان الحتف والغيث فيهما
ابي الله الا ان تضرا وتنفعـا

وله أيضا فيه من قصيدة تقارب الستين بيتا :

بنو مطر يوم اللقـاء كأنهم اسود لهم في بطن حقان اشبل (١)

(١) الحقان تثنية الحق ، وهو من الابل الطاعن في الرابعة من الذكر والانثى ، ومن الناقة ما سقطت أسنانها .

هم يمنعون الجـار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل (٢)

تجنب (لا) في القول حتى كأنه حرام عليه قول (لا) حين يسأل

تشابه يوما علينـا فأشكلا فلا نحن ندري أي يوميه افضل

أيوم نداء الغمر ام يوم بأسه وما منهمـا الا أغر محجل

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعو

اجابو وان اعطوا اطابوا وأجزلو

وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان حسنوا في النائيات وأجملوا

وله فيه أيضا من قصيدة :

قد أمن الله من خوف ومن عدم من كان جارا له من جور ذ الزمن

معن بن زائدة الموفي بذمتـه والمشتري المجد بالغالي من الثمن

يرى العطايا التي تبقى محامدها غنما اذا عدها المعطي من الغبن

بنى لشيبان مجـدا لازوال لـه

حتى تزول ذو والاركان من حضن (٣)

وله فيه أيضا من قصيدة :

ما من عدو يرى معنا بساحته ألا يظن المنايا تسبق القدرا

---

(٢) السما كان : كوكبان نيران يقال لاحدهما السماك الرامح والآخر السماك الاعزل .

(٣) الحضين : جبل عظيم بين نجد وتهامة .

يلقي اذا الخيل لم تقدم فوارسها
كالليث يزداد اقداما اذا زجرا
اغرّ يحسب يوم الروع ذا لبد
وردا ويحسب فوق المنبر القمرا

قيل : ان مطيع بن اياس مدح معنا بقصيدة حسنة ، فلما فرغ من إنشادها أراد معن أن يباسطه فقال : يامطيع ان شئت اعطيناك وان شئت مدحناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج ، فلما خرج من عنده أرسل له هذين البيتين :

ثناء من امير خير كسب لصاحب نعمة واخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال : ما مثل الدراهم من دواء ، فأمر له بصلة جزيلة ومال كثير .

ودخل عليه أعرابي ومعه صبي صغير في نطع فقال :

سميت معنا بمعن ثم قلت له هذا سمي أمرء في الناس محمود
انت الجواد ومنك الجود اوله لابل يمينك منها صورة الجود

فأعطاه الف دينار .

وقيل : اتى الى بابه شاعر ايام ولايته بالبصرة واقام مدة

لايتهيأ له الدخول ، فعلم يوما ان معن دخل في البستان ، فكتب بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بالبستان ، فلما رأى معن الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها هذا البيت :

اياجود معن ناج معنا بحاجتي فليس الى معن سواك رسول

فقال : من صاحب هذه ؟ فأتى به اليه ، فقال له : كيف قلت ؟ فأنشده البيت ، فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ، فدعى بالرجل في اليوم الثاني فأمر له بمائة ألف درهم ، وفعل به في اليوم الثالث مثل ذلك ، فخاف الرجل أن يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد ، وفي اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد ، فقال معن : والله لقد هممت ان أعطيه حتى لايبقى في بيت مالي درهم ولادينار .

وعن الخطيب في تاريخه عن المازني انه قال : حدثني صاحب شرطة معن قال : بينما انا على رأس معن اذا هو براكب . فقال معن : ما أحسب الرجل يريد غيري ؟ ثم قال لحاجبه : لاتحجبه . قال : فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد :

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر رمى بكلكله فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال معن وقد اخذته الاريحية : لاجرم والله لاعجلن أوبتك ، ثم قال : ياغلام ناقتي الفلانية وألف دينار ، فدفعها اليه وهو

لايعرفه .

«يقول جامع الكتاب» وتنسب هذه القصة الى خالد القسري أيضا والى عمرو بن هبيرة . والله اعلم بالصواب .

قال المبرد : وحدثني ابو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضي ان الخبر لمعن بن زائدة ، وصح ذلك عندي .

واتاه رجل فقال له : احملني ايها الامير، فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال : لو علمت أن الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه .

واتوه بأسارى فأمر بقتلهم ، فقال بعضهم : اتقتلنا عطاشا ، فلما سقوهم قال : اتقتل أضيافك يامعن . فخلى سبيلهم .

وكان معن يقول :

دعيني انهب الاموال حتى أعفّ الاكرمين عن اللئام

وكان يقال فيه : حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج .

قيل : ان معن كان في الصيد فعطش فرأى ثلاث جوار قد أقبلن حاملات ثلاث قرب ، فسقينه الماء فطلب مالا من غلمانه فلم يجد ، فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب ، فقالت أحداهن : ويلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن

ابن زائدة ، فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات • فقالت كل واحدة منهن بيتين ، والابيات هذه :

يركب في السهـام نصول تبر ويرمى للعدا كرما وجودا
فللمرضى عـلاج من جراح واكفان لمن سكن اللحودا
ومحارب من فرط جود بنـانه عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهمامه من عسجد كي لا يفوته التقارب بالندى
ومن جوده يرمى العداة بأسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعـه ويشتري الاكفان منها قتيلها

وقيل : انه خرج يتصيد مع جماعة ، فاعترضهم قطيع ظباء ، فتفرقوا في طلبه وأنفرد معن خلف ظبي ، فرأى اعرابيا على حمار فقال له :من أين اتيت ؟قال : من أرض قضاعة وان لي بها أرضا ساعدة سنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحت في غير وقتها ، فجمعت منها ، ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور • فقال له : كم أملت منه ؟ قال ألف دينار • فقال : ان قال لك كثير ؟ قال : خمسمائة ... الى ان قال : خمسين دينار • فقال : ان قال لك كثير ؟ قال : فلا اقلّ من الثلاثين ؟قال: فان قال لك كثير • قال : ادخل قوائم حماري في حر أمه وارجع الى أهلي خائبا • فضحك معن منه

وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله ، فجاءه الاعرابي فسلم عليه ونم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه . فقال له : ما الذي أتى بك يا أخا العرب ؟ قال : املت الامير واتيته بقثاء في غير أوانها . قال : فكم املت فينا ؟ قال : ألف دينار . قال : كثير ... الى أن قال : مائة دينار . قال : كثير . فقال الاعرابي : والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني علي مشوما ، ثم قال : خمسين دينار . قال : كثير . قال : فلا أقل من الثلاثين . قال : فضحك معن وسكت فعلم الاعرابي أنه صاحبه فقال : ياسيدي ان لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط بالباب ، فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال : اعطه ألف دينار وخمسمائة وثلاثمائة ومائتي دينار ومائة ، وخمسين وثلاثين ، ودع الحمار مربوطا مكانه .

وسعى رجل في إفساد دولة المهدي ، فهدر المهدي دمه وجعل لمن دل عليه ألف درهم ، فبينما هو في بعض الشوارع اذ عرفه رجل فأخذ بمجامع طوقه ونادى : هذا طلبة امير المؤمنين ، فبينما الرجل في تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال : يا أبا الوليد أجرني . فقال : ياغلام اردفه ، فمضى الرجل الى المهدي صارخا وأخبره بالخبر ، فبعث خلف معن

فأتاه وسلم عليه فلم يرد عليه وقال : يامعن أتجير علينا عدونا . فقال : ياامير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ، ولى مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتموني اهلا ان اجير رجلا واحدا ؟! فقال : قد أجرنا من أجرت . فقال : فان وصلته حتى يعلم منها موقع الرضا . فقال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم . فقال : ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية . قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم .

وقيل كان معن لايغيظ أحدا ولا يغيظه أحد ، فقال بعض الشعراء : أنا غيظه لكم ، فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه أخذها والا دفع مثلها ، فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من الخارج والشعر من الداخل والذباب يقع عليه ويقوم ، ولبس نعلين على هذه الكيفية فدخل عليه وجلس ومد رجليه في وجهه وقال :

انا والله لا أبـدي سلاما على معن المسمى بالامير

فقال : السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك . فقال :

ولا أنزل بلادا أنت فيهـا ولو حزت الشئام مع الثغور

فقال : البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله

عونك . فقال :

وأرحل عن بلادك ألف شهر أجد السير في أعلا القفور

فقال له معن : مصحوبا بالسلامة . فقال الشاعر :

أتذكر اذ قميصك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير

وتهوى كل مصطبة وسوق بلا عبد لديك ولا وزير

ونومك في الشتاء بلا رداء واكلك دائما خبز الشعير

فقال : ما نسيت ذلك ، والحمد لله على كل حال . فقال الشاعر :

وفي يمناك عكاز قوى تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له معن : ما خفى عليك خبرها ، اذ هي كعصى موسى . فقال الشاعر :

فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك القعود على السرير

فقال له معن : بفضل الله لا بفضلك . فقال الشاعر :

فعجل يا ابن ناقصة بمال فاني قد عزمت على المسير

فأمر له بمائة دينار . فقال الشاعر :

قليل ما أمرت به فأني لاطمع منك بالشيء الكثير

فأمر له بمائة دينار أخرى . فقال الشاعر :

فثلث اذا ملكت الملك زرقا بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بمائة اخرى . فقال الشاعر :

ولا ادب كسبت بـه المعـالي ولا خلـق ولا رأى منـير

فأمر له بمائة اخرى . فقال الشاعر :

فمنـك الجود والافضال حقا وفيض يديك كالبحر الغزير

فأمر له بمائة اخرى ، وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألف دينار ، فأخذها وانصرف فاغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر اليه بأن الحامل له على هجوه المائة بعير ، فأمر له بمأة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير أخرى لنفسه .

وكان معن قد ولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كان سنة أحدى او اثنتين او ثمان وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له شغلا ، فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان ، فتبعهم ابن اخيه يزيد بن مزيد الآتي ذكره ، فقتلهم عن آخرهم ، وكان قتله بمدينة بست ده ، [1] ولما قتل معن رثاه الشعراء بأحسن المراثي ، فمن ذلك قول الحسين بن مطير الاسدي وهي من أبيات الحماسة :

---

(١) بست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، وهي كبيرة حارة يقال لناحيتها « گرم سير » .

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا
وياقبر معن أنت اول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى
واصبح عرنين المكارم أجدعا (٢)

ومن ذلك قول مروان بن أبي حفصة . قال ابن خلكان : وهي من أفخر الشعر وأحسنه ، ونحن نذكر بعضها ونحذف بعضها خوفا من الاطالة :

مضى لسبيله معن وابقى مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم اصيب معن من الاظلام ملبسة جلالا

(٢) العرنين : الانف ، والاجدع : مقطوع الانف .

هو الجبل الذي كانت نزار ... تهد من العدو بـه الجبـالا
وعطلت الثغور لفقـد معن ... وقد يروي بها الاسل النهالا
واظلمت العراق وأورثتهـا ... مصيبتـه المجللة اختـلالا
وظل الشـام يرجف جانباه ... لركن العز حين وهى فمـالا
وكادت من تهامة كـل ارض ... ومن نجد تزول غـداة زالا
فان يعلو البلاد لـه خشوع ... فقد كانت تطول بـه اختيالا
أصاب الموت يوم اصاب معنا ... من الاحياء اكـرمهم فعالا
وكان الناس كلهـم لمعـن ... الى أن زار حفـرته عيـالا
ولم يك طالبا للعـرف ينوي ... الى غير ابن زائـدة ارتجالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ... ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفـود لمثل معـن ... ولا حطوا بسـاحته الرحالا
ولا بلغت اكف ذوي العطـايا ... يمينا من يديه ولا شمـالا
وما كانت تجف لـه حياض ... من المعروف مترعـة سجالا
مضى لسبيله من كنت ترجو ... به عثرات دهـرك ان تقالا
فلست بمالك عبـرات عيـن ... أبت بدموعها الا انهمـالا
كأن الليل واصل بعـد معن ... ليالي قد قرن بـه فطـالا
فلهف أبي عليك اذا العطـايا ... جعلن منى كواذب واعتـلالا

ولهف أبي عليك اذا اليتامى غدوا شعثا كأنهم سلالا[1]
ولهف أبي عليك اذا القوافي لمتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا لها تلقى حواملها السجالا[2]
أقمنا باليمامة اذ يئسنا مقاما لا يزيد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك امضى واكرم مقدما وأشد بالا

دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر البرمكي فقال له : انشدني من مرثيتك في معن ، فأنشأ يقول :

وكان الناس كلهم لمعن الى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة ، فجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ثم قال له : هل اثابك على هذه المرثية احد من اولاده شيئا ؟ قال : لا . قال جعفر : فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال : اصلح الله الوزير اربعمائة دينار . قال

---

(١) السلال : السل ، يقال « به سل وسلال » ، ويريدهنا تشبيه اليتامى بالمصابين بالسل لرداءة أحوالهم .

(٢) في المثل « الحرب بينهم سجال » أي سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء ، يعني انها مرة لهم ومرة عليهم ، ويريد هنا أهوال الحرب وشداتها .

جعفر : فأنا نظن انه كان لايرضى لك بذلك وقد أمرنا لك عن معن بالضعف مما ظننت وزدنا نحن مثل ذلك ، فأعطاه ألفين وستمائة دينار . فقال مروان يذكر جعفر وما سمح به عن معن:

نفحت مكافئا عن قبر معن لنا مما تجود به سجالا
فجعلت العطيئة يابن يحيى لناديه ولم ترد المطالا
فكافي عن صدى معن جواد بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وابوك يحيى بناءً في المكارم لن ينالا
كأن البرمكي بكل مال تجود به يداه يفيد مالا

يقال : ان مروان بعد هذه المرثية لم ينتفع بشعره ، فانه كان اذا مدح خليفة او من دونه قال له : انت قلت في مرثيتك:

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته .

يحكى ان ولد مروان المذكور دخل على شراحيل بن معن ابن زائدة فأنشده :

أيا شراحيل بن معن بن زائدة
يا اكرم الناس من عجم ومن عرب
أعطى ابوك أبي مالا فعاش به
فأعطني مثل ما اعطى ابوك ابي

ما حل قط أبي ارضا ابوك بهـا
الا وأعطاه قنطارا من الذهب

(الطرف الثاني)

« في نبذة من اخبار أبي خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني » .

وهو ابن أخي معن بن زائدة . كان من الامراء المعروفين والشجعان المشهورين ، وكان واليا بأرمينية فعز له عنها الرشيد ثم ولاه اياها وضم اليها آذر بايجان في سنة ثلاث وثمانين ومائة، وله وقائع مشهورة : منها قتاله مع الوليد بن طريف الشيباني وكان قد خرج على الرشيد ببلاد الجزيرة ، فوجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد في جيش عظيم ، فكسر يزيد جيشه وقتل الوليد، وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد مادحا له من قصيدة اولها :

طيف الخيال حمدنا منك إلمـاما
داويت سقما وقد هيجت اسقاما
سل الخليفة سيفـا من بني مطر
يمضي فيخترق الاجسام والهاما
لولا يزيد ومقدار له سبب عاش الوليد مع الغاوين اعواما

أكرم به وبآباء له سلفوا ابقوا من المجد أياما وأياما

ترى العفاة عكوفا حول حجرته

يرجون اروع رحب الباع بساما

تظلم المال والاعداء من يده

لازال للمال والاعداء ظلاما

أردى الوليد همام من بني مطر

يزيده الروع يوم الروع اقداما

صمصامه ذكر يعدو به ذكر

في كفه ذكر يفرى به الهاما

ولما رجع يزيد من قتال الوليد قدمه الرشيد ورفع رتبته فكان مما قال له: يايزيد ما اكثر امراء المؤمنين في قومك ؟ قال: نعم الا ان منابر هم الجذوع التي يصلبون عليها .

وكان للوليد المذكور اخت تسمى (الفارعة) وكانت تجيد الشعر فرثت اخاها بأبيات كثيرة وكانت تسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر ، فمما قالت فيه :

يابني وائل لقد فجعتكم من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد قاتلته لاقت خلاف السعود

وائل بعضها يقتل بعضا لايفل الحديد غير الحديد

وقالت أيضا ترثيه من قصيدة :

ايا شجر الخابور مالك مورقا
كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لايحب الزاد الا من التقي
ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم (١)
معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم
مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة
من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح
وسمر القنا ينكرنها بأنوف
حليف الندا ماعاش يرضى به الندى
فان مات لايرضى الندى بحليف
فقدناه فقدان الشباب وليتنا
فديناك من فتيانا بألوف

---

(١) الصلدم : الاسد ، والصلب ، والشديد الحافر .

وما زال حتى أزهق الموت نفسه

شجا لعدو أو نجا لضعيف

ألا يا لقومي للحمام واللبلى

وللارض همت بعده برجيف

ألا يا لقومي للنوائب والردى

ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب اذ هوى

وللشمس لما أزمعت بكسوف

فان يك أرداه يزيد بن مزيد

فرب زحوف لفها بزحوف

ودخل يزيد على الرشيد يوما ، فقال له الرشيد : من الذي يقول فيك .

لايعبق الطيب كفيه ومفرقه

ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عود الطير عادات وثقن بها

فهن يتبعنه في كل مرتحل

قال : لا أدري . فقال : أفيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فانصرف خجلا ، فلما صار الى منزله دعى حاجبه

فقال له : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد . قال : وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه ؟ فقال : أخبرته انك مضيق وانه ليس في يديك شيء تعطيه إياه . فقال : ادخله ، فدخل وأنشده قوله :

أجررت حبل خليع بالصبا غزل

وشمرت همم العذال في العذل

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم ، فخرج الحاجب فقال لمسلم : قد أمرني أرهن ضيعة من ضياعه على مائة الف درهم خمسون الفا منهـا لك وخمسون ألفا منهـا لنفقته ، فأعطاه اياها . وبلغ الرشيد ذلك فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال : اقض الخمسين الف التي اخذها الشـاعر وزده مثلها وخذ مائة الف لنفقتك ، ففك ضيعته واعطى مسلما خمسين الفا أخرى .

وهذه القصيدة تقارب الثمانين بيتا ونحن نذكـر بعضها ونسقط البعض :

هاج البكاء على العين الطموح هوى

مفرق بين توديع ومحتمـل

كيف السلو لقلب راح مختبلا

يهذي بصاحب قلب غير مختبل

عاصى العزاء غداة البين منهمل

من الدموع جرى في إثر منهمل

لولا مداراة دمع العين لانكشفت

مني سرائر لم تظهر ولم تخل

أما كفى البين ان يرمي بأسهمه

حتى رماني بلحظ الاعين النجل

ماذا على الدهر لولانت عريكته

ورد في الرأس منه سكرة الغزل

فيم المقام وهذا النجم معترضا

دنا النجاء وحان السير فارتحل

ياماثل الرأس ان الليث مفترس

ميل الجماجم والاعناق فاعتدل

حذار من اسد ضرغامة بطل

لايولغ السيف الا مهجة البطل

يفتر عند افترار الحرب مبتسما

اذا تغير وجه الفارس البطل

يكسو السيوف نفوس الناكثين به

ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

موف على منهج واليوم ذو رهج

كأنه أجل يسعى الى أمـل

يغدو فتدنو المنايا في أسـنته

شوارعا تتحدى الناس بالاجـل

يقري المنية أرواح الكماة كما

يقري الضيوف شحوم الكوم والنزل

يارب مكرمة أصبحت واحدها

أعيت صناديد راموها فلم تنل

وكان يزيد قد سأل مسلم بن الوليد عما يكفي عياله ، فأخبره فجعله جراية له ، ثم قال : ليس هذا مما تحاسب به بدلا من جائزة او ثواب مديح .

واكثر شعر مسلم في يزيد بن مزيد .

ووفد عليه ابو الشمقمق فأنشده أبياتا منها

يوماه يوم اللمواهب والجـدى

خضل ويـوم دم وخطف منية

ولقد أتيتك واثقـا بك عالمـا

ان لست تسمع مدحة بنسيه

فقال : صدقت ياشمقمق فلست اقبل مدحة بنسئية ، فأمر

له بألف دينـــار .

ومدحه ابو الفضل منصور النميري بقصيدة منها قوله :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب

سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

ودخل يزيد مسجدا باليمين فوجد في قبلتـــه مكتوبا :

مضى معن وخـــلاني ببثي على معن بن زائدة السلام

فسأل عن قائله فاذا هو معهم ، فقال : ياغلام امعك شيء؟ قال : نعم ألف دينار . قال : فادفعها اليه .

وعن أبي قدامة القشيري قال : كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول : يايزيد بن مزيد . فطلبـــه . وقال له : ما حملك على هذا الصياح ؟ فقال فقدت دابتي وفقدت نفقتي وسمعت قول الشاعر :

اذا قيل من للجود والمجد والندى

فنادى بصوت يا يزيد بن مزيدا

فأمر له بفرس ابلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية

« نادرة »

حضر أعرابي على مائدة يزيد فقال لاصحابه : أفرجو لاخيكم . فقال الاعرابي : لا حاجة لي بذلك ان اطنابي طوال يعني سواعده ، فلما مد يده ضرط فضحك يزيد وقال : يا أخا العرب ما اظن الا ان طنبا من أطنابك قد انقطع .

ومات يزيد في سنة خمس وثمانين ومائة في (بردعة) مدينة من أقصى بلاد آذربايجان ، والسبب في ذلك انه اهديت له جارية وهو يأكل ، فلما رفع يده من الطعام وطأها فلم ينزل عنها الا ميتا ، وكان مسلم معه فقال يرثيه :

قبر ببردعة استسر ضريحه خطرا تقاصر دونه الاخطار
أبقى الزمان على ربيعة بعده حزنا كعمر الدهر ليس يعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلى
حتى اذا بلغ المدى بك حاروا
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة
اثنى عليها السهل والاوعار

وله ايضا يرثيه من قصيدة :

أحقا انه اودى يزيد تبين أيها الناعي المشيد

أتدري من نعيت وكيف فاهت به شفتاك كان بها الصديد
أما هدت لمصرعه نزار بلى وتقوّض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها ابدا تجود
أبعد يزيد تختزن البواكي دموعا اويصان لها خدود

ورثاه منصور النمري بقوله وهي من أبيات الحماسة :

ابا خالد ماكان ادهى مصيبة اصابت معدا يوم اصبحت ثاويا
لعمري لئن سر الاعادي فأظهروا
شماتا لقد مروا بربعك خاليا
فان يك افنته الليالي واوشكت
فان له ذكرا سيفني الليالي

وكان ليزيد ولدان : احدهما محمد بن يزيد وكان موصوفا بالكرم وانه لايرد طالبا ، والآخر خالد بن يزيد وهو ممدوح أبي تمام الطائي ، وله فيه أحسن المدائح ، ولولا لخوف الاطالة لذكرنا شطرا من ذلك ، وكان خالد قد تولى الموصل من جهة المأمون ، فوصل اليها وفي صحبته ابو الشمقمق الشاعر ، فلما دخل خالد الى الموصل نشب اللواء الذي لخالد فاندق بسقف باب المدينة ، فتطير خالد من ذلك ، فأنشأ ابو الشمقمق يقول

ارتجـالا :

ما كان مندق اللـواء لريبـة تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنه صغر الولاية فاستقل الموضلا

فبلغ المأمون ذلك فكتب اليه قد زدناك ولاية ديار ربيعة لكون رمحك استقل الموصل ، ومات خالد في أيام الواثق وهو في طريق ارمينية سنة ثلاثين ومائتين .

« لؤلؤة »

وفيها طرفان .

« الطرف الاول »

« في نبذة من اخبار أبي دلف العجلي قاسم بن عيسى احد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده » .

كان كريما سخيا شجاعا مقداما ذا صنائع مأثورة ، اخذ عنه الادباء والفضلاء ، وله من المصنفات كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك ، وفيه يقول الشاعر :

ولو يجوز لقـال الناس كلهم لولا ابو دلف ما أورق الشجر

قرم [1] اذا ما حوى في كفه حجرا

يفيض من جوده في كفه الحجر

عن مشكاة الطبرسي عن احمدبن جعفر الرهبان قال : قال رجل لأبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام : كيف ابودلف له اربعة آلاف قرية وقرية ؟ فقال عليه السلام : انه أضاف به مؤمنا فزوده جلة من تمر وكان فيها اربعة آلاف تمر وتمرة ، فأعطاه الله بكل تمرة قرية .

قدم عليه شاعر فأقام ببابه مدة لايصل اليه ، فكتب اليه هذه الابيات في رقعة :

ماذا أقول اذا سئلت وقيل لي ماذا لقيت من الجواد الافضل

ان قلت اعطاني كذبت وان أقل

بخل الجواد بماله لم يجمل

ولانت اعلم بالمكارم والعلى

ممن يقول فقلت مالم تفعل

فأختر لنفسك ما أقول فانني

لابد اعلمهم وان لم اسأل

فلما وقف عليها ابو دلف اجرى له عن كل يوم اقامه ألف درهم ، وكتب خلف الرقعة :

---

(١) القرم : السيد العظيم .

عاجلتنا فأتاك عاجـــل برنا نزرا ولو امهلتنا لم نقلـــل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نسأل

وكان له جار ببغداد ركبه دين حتى احتاج الى بيع داره فساموه فقال: ألفي دينار فقالوا له: ان دارك انما تساوي خمسمائة دينار . قال : وجواري من أبى دلف ألف وخمسمائة . فبلغ أبا دلف ذلك فأمر بقضاء دينه وقال له : لاتبع دارك ولا تنتقل من جوارنا .

وفيه يقول ابن النطاح [1] وقيل ابو تمام :

يا طالبـــا للكيميـــاء وعلمها
مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يـــكن في الارض الا درهم
ومدحتـــه لأتاك ذاك الدرهم

قيل انه اجاز على هذين البيتين عشرة آلاف درهم .

---

(١) هو أبو وائل بكر بن النطاح ، من فرسان بني حنيفة من أهل اليمامة ، انتقل الى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف فجعل له رزقا سلطانيا عاش به الى أن توفي سنة ١٩٢ هـ . الاعلام للزركلي ج٢ ص ٤٦ .

ودخل عليه بعض الشعراء وأنشده :

ابو دلف ان المكارم لم تزل مغللة تشكو الى الله حلها
فبشرها منه بميلاد قاسم فأرسل جبريلا اليها فحلها

فأمر له بمال ، فقال الخازن : لم يكن هذا القدر ببيت المال ، فأمر له بضعفه ، فقال : هذا غير ممكن ، فأمر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال ابو دلف :

اتعجب ان رأيت عليّ دينا وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت علي زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد

وقال آخر :

ان سار سار المجد أوحل وقف انظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة او بكلف خلق من الناس سوى ابي دلف

فأعطاه خمسين ألف درهم .

وكان من الشجاعة على غاية لحق قوما من الاكراد قطعوا الطرق ، فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلتهما ، فقال بكر بن النطاح :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا
لاتعجبوا فلو أن طول قناته ميل اذا نظم الفوارس ميلا

وفيه يقول ابن عنين :

تمشي المنايا الى غيري فأكرهها فكيف امشى اليها بارز الكتف
ظننت أن نزال القرن من خلقي وأن قلبي في جنبي أبي دلف

فبلغ خبره أبا دلف فوجه اليه ألف دينار .

وكان ابو دلف لكثرة عطائه ركبته ديون واشتهر ذلك عنه ، فدخل عليه بعضهم وأنشده :

ايا رب المنائح [1] والعطايا ويا طلق المحيا واليدين
لقد خبرت أن عليك دينا فزد في رقم دينك واقض ديني

فوصله وقضى دينه .

قال بعض من نسب البيتين المتقدمين الى أبي تمام : ولما قال فيه ابو تمام البيتين المتقدمين — وهما يا طالبا الى آخره — اعطاه عشرة آلاف درهم ، فأغفله قليلا ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الابلة ، فأنشده :

بك ابتعت في نهر الابلة قرية عليها قصير بالرخام مشيد
الى جنبها أخت لها يعرضونها وعندك مال للهبات عتيد

فقال له : كم ثمن هذه الاخت ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فدفعها له .

---

(١) المنائح : الهبات .

ولعلي بن جبلة العَكّوك الشاعر المشهور (٢) فيه من قصيدة أولها :

ذاد ورد الغي عن صدره فارعوى واللهو من وطره
انما الدنيا ابو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على أثره
كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منه مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

يقال : ان ابا دلف اجازه على هذه الابيات مائة الف درهم ، فلما بلغ المأمون القصيدة غضب غضبا شديدا على العكوك ، فطلبه فهرب ثم قبض بعد ذلك عليه ، فلما صار بين يديه قال له : يابن اللخناء انت القائل في مدحك لأبي دلف « كل من في الارض من عرب » البيتين ، جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ويفتخر بها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أنتم اهل بيت لايقاس بكم ، اختصكم الله

(٢) هو علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الانباري الشاعر الشيعي المشهور ، كان من شعراء العراق المجيدين في عصره ، وكان الاصمعي يحسده لحسن انشاده الشعر ، وهو الذي لقبه بـ « العكوك » أي الغليظ السمين ولد سنة ١٦٠ وتوفي سنة ٢١٣ هـ .

لنفسه واتاكم ملكا عظيما ، وانما ذهبت في أقوالي الى أقران وامثال أبي دلف . فقال : والله ما ابقيت أحدا ولقد أدخلتنا في الكل وما استحل دمك بهذا ولكن بكفرك حيث قلت في عبد ذليل مهين :

انت الذي تنزل الآيات منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال
وما نظرت مدى طرف الى أحد الا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله عز وجل يفعله ياكافر ، أخرجو لسانه من قفاه ، ففعلوا به ذلك فمات .

وحكى ان أبا دلف سار يوما مع اخيه معقل فرأيا امر أتين يتماشيان ، فقالت احداهما للأخرى : هذا ابو دلف ؟ قالت : نعم الذي يقول فيه الشاعر « انما الدنيا » الخ ، فبكى ابو دلف حتى جرت دموعه ، فقال له معقل : مالك يا أخي تبكي ؟ فقال : لأني لم أقض حق الذي قال هذا . فقال : أو لم تعطه مائة الف درهم؟ فقال : والله ما في نفسي حسرة الا لكوني لم اعطه مائة ألف دينار .

وعن العتبي قال : اجتمعنا بباب أبي دلف العجلي في بعض السنين اكثر من اربعين شاعرا وزائرا ، وقد وعدنا بحمل الكرج[1]

(١) الكرج مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق ، وكان أبو دلف أولُ من مصر هذه المدينة وجعلها وطنه ، معنى

فلما وصل افرغه خدمه بين أيدينا وطلع هو علينا في حلة حمراء متقلدا سيفا ، فوضع قائم سيفه في الارض واتكأ عليه وانشد :

أيا معشر الزوار لايد عندكم ... اياديكم عندي أجل وأكبر
كفاني من مالي جواد وشرة ... وابيض من صافي الحديد ومغفر

ثم ولى عنا وقال شأنكم والمال فاحتمل منه كل واحد منا جهد طاقته .

ودخل عليه ابو تمام فأنشده قصيدته البائية التي أولها :

على مثلها من اربع وملاعب
أذيلت مصونات الدموع السواكب

فاستحسنها فأمر له بخمسين ألف درهم وقال : والله انها لدون شعرك .

قال ابن خلكان ملخصا : رأيت في بعض المجاميع ان أبا دلف لما مرض حجب الناس عن الدخول عليه ، فقال يوما لحاجبه : من بالباب من المحاويج ؟ فقيل عشرة من الاشراف ، فأمر بدخولهم فدخلوا فرحب بهم وسألهم عن بلادهم وعن سبب قدومهم ؟ فشكوا له ضيق الحال ، فأمر بأحضار بعض الصناديق واخرج منه عشرين كيسا في كل كيس ألف دينار ، ودفع لكل واحد منهم كيسين ومؤنة طريقه ، ثم قال : ليكتب كل واحد منكم بخطه انه

العبارة ان أبا دلف وعد الشعراء والزوار بوصول ما يجبى من هذه المدينة .

فلان بن فلان حتى ينتهي الى علي عليه السلام ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم ليكتب يا رسول الله اني وجدت ضيق حال في بلدي وقصدت أبا دلف فأعطاني ألفي دينار كرامة لك ورجاءً لشفاعتك . فكتب كل واحدمنهم ذلك ثم تسلم الاوراق وأوصى ان تجعل في كفنه حتى يلقى بها النبي ويعرضها عليه .

قال ابن خلكان : ومع هذا فقد حكي عنه انه قال يوما : من لم يكن مغاليا في التشيع فهو ولد زنا . فقال له ولده : اني لست على مذهبك فقال له ابوه : لما وطئت امك وعلقت بك ماكنت بعد استبرأتها ، فهذا من ذاك — انتهى .

وقال المأمون له يوما وهو مغضب : انت الذي يقول فيك الشاعر « انما الدنيا » البيتين ؟ فقال : شهادة زور أصدق منه قول ابن أخت لي حيث يقول :

دعيني أجوب الارض في طلب الغنا

فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم (١)

فضحك المأمون وسكن غضبه . ولبكر بن النطاح فيه :

---

(١) أجوب أسير في الارض . والكرج مدينة أبي دلف كما ذكرنا سابقا .

بطل بصدر حسامه وسنانه أجلان من صدر ومن إيراد
ورث المكارم وابتناها قاسم بصفائح وأسنة وجياد
ياعصمة العرب التي لولم تكن حيا اذا كانت بغير عماد
ان العيون اذا رأتك حدادها رجعت من الاجلال غير حداد
واذا رميت الثغر منك بعزمة فتحت منه مواضع الاسداد
وكأن رمحك منقع في عصفر وكأن سيفك سل من فرصاد
لو صال من غضب ابو دلف على بيض السيوف لذبن في الاغماد
اورى ونور للعداوة والهدى نارين نار دم ونار زناد

وقال آخر :

الله اجرى من الارزاق اكثرها على العباد على كفى أبى دلف
بارى الرياح فأعطى وهي جارية حتى اذا وقفت اعطي ولم يقف
ما خط لا كاتباه في صحيفته يوما كما خط لا في سائر الصحف

ولما انشده الشاعر هذه الابيات أجازه عليها ثلاثين ألفا .

ودخل عليه أبو الشيص فأنشأ بيتين في غلام له ، فقال أبو دلف : احسنت ، وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ولكنك انت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

ولأبي تمام فيه أحسن المدائح ، منها القصيدة التي مر الاشارة اليها

التي اولها « على مثلها من اربع وملاعب » فيقول فيها :

اذ العيس لاقت بي أبا دلف فقد
تقطع مـا بيني وبين النوائـب
هنالك تلقى المجد حيث تقطعت
تمائمه والجود مرخى الذوائـب
تكاد عطاياه يجن جنونهـا
اذا لم يعوذهـا بنغمـة طالب
اذا حركته هزة المجد غيرت
عطاياه اسماء الاماني الكواذب
تكاد معانيه تهش عراصهـا
فتركب من شوق الى كل راكب
اذا ما غدى اغدى كريمـة ماله
هديا ولو زفت لألام خاطـب
يرى اقبح الاشياء اوبة امـل
كسته يد المـأمول حـلة خائب
وأحسن من نور تفتحه الصبا
بيـاض العطايا في سواد المطالب

وله فيه أيضا من قصيدة أولها :

اما الرسوم فقـد اذكرن ماعلفا
فلا تكفن عن شأنيك او يكفا
لاعذر للصب ان يقني السلو ولا
للدمع بعـد مضى الحي أن يقفا
حتى يضل بمـاء سائح ودم
في الربع يحسب من عينيه قد رعفا
ودع فؤادك توديـع الفراق فما
أراه من سفر التوديـع منصرفا
يجاهد الشوق طورا ثم ترجعـه
مجاهدات القوافي في ابى دلفا
بجوده أنصاعت الايام لابسة
شرخ الشباب [1] وكانت حلة شرفا
حتى لو أن الليالي صورت لغدت
أفعاله الغر في آذانهـا شنفا [2]
اذا علا طود مجـد ظل في تعب
أو يعتلى من سواه قـلة شعفا

---

(١) شرخ الشباب : أوله وبدايته .
(٢) الشنف : القرط الاعلى ، والجمع شنوف .

فلو تـكلم خلق لا لسان لـه
لقد دعته الليـــالي منة طرفا
جم التواضـع والدنيا لسؤدده
تـكاد تهتز في أطرافه صلفـا
قصد الخلائق الا في ندى ووغى
كلاهما سنة مالم يـكن سرفا
تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت
كانـت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا

والقصيدة طويلة ، ولو لا خوف الاطالة لذكرنا سائر مدائحه فيه ولابن النطاح فيه .

له راحـة لو أن معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر
أبا دلف بوركت في كـل بلدة
كما بوركت في شهرها ليلة القدر

وله ايضـا :

اذا كان الشتاء فأنت شمس
وان كان المصيف فأنت ظـل
وما تدري اذا أعطيـت مالا
أيكثر في سمـاعك ام يقـل

فلما أنشدها اعطاه عشرة آلاف درهم .

وتوفي رحمه الله في سنة خمس او ست وعشرين ومائتين في دار السلام بغداد .

« الطرف الثاني »

في نبذة من أخبار احمد بن أبي دؤا دالايادي قاضي [1] القضاة .

غضب المعتصم على خالدين يزيد بن مزيد الشيباني وجلس لعقوبته ، فتشفع فيه أحمد فلم يشفعه ، فقام وجلس دون مجلسه، فسأله عن ذلك فقال : ان الناس يزعمون انه ليس موضعي موضع

(١) احمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الايادي ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن، قدم به أبوه وهو حدث من قنسرين الى دمشق فنشأ فيها ونبغ ومنها رحل الى العراق ، وقيل ولد بالبصرة . وكان عارفا بالاخبار والانساب ، اتصل أولا بالمأمون ، فلما قرب موته أوصى به أخاه المعتصم فجعله قاضي قضاته ، وجعل يستشيره في أمور الدولة كلها ولد سنة ١٦٠ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

من يشفع في رجل فلا يشفع . قال : فأرجع الى موضعك مشفعا. فقال : ان الناس لايعلمون رضاك حتى تخلع عليه ، فخلع عليه وأمر له بمال ، فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه وان الناس في الطرق ينتظرون الايقاع به ، فصاح به رجل : الحمد الله على خلاصك ياسيد العرب . فقال له : اسكت سيد العرب والله احمد بن أبي دؤاد .

وكان الافشين يحسد أبا دلف العجلي اللعربية والشجاعة والسخاء ، فأحتال حتى شهد عليه بجناية وقتل ، فجلس واحضر السياف ليقتله ، فبلغ ابن أبي دؤاد الخبر ، فركب في وقته مع من حضر من عدوله ، فدخل على الافشين فقال : اني رسول امير المؤمنين اليك وقد أمرك ان لاتحدث في القاسم حدثا . ثم قال للعدول : اشهدوا أني اديت الرسالة والقاسم حي معافى ، ثم خرج ودخل على المعتصم وقال : قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما اعتد بعمل خير خيرا منها ، وأخبره الخبر فصوب رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه وعنف الافشين فيما عزم عليه .

وغضب المعتصم على رجل وأمر بضرب عنقه ، فجعل ابن ابي دؤاد يتكلم معه في أمر الرجل ، قال ابن أبي دؤاد : فغمرني البول فلم أقدر على حبسه وعلمت ان قمت قتل الرجل ، فجعلت

ثيابي تحتى وبلت عليها حتى خلصت الرجل ، فلما قمت نظر المعتصم الى ثيابي رطبة فقلت له : كان كذا وكذا ، فضحك ودعا الرجل وخلع عليه وأمر له بمائة الف درهم .

ودخل ابو تمام عليه يوما وقد طالت ايامه في الوقوف ببابه، فقال : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ؟ فقال : انما يعتب على واحد وانت الناس جميعا فكيف يعتب عليك . فقال له : من أين لك هذا ؟ فقال : من قول ابي نؤاس .

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولأبي تمام فيه أحسن المدائح ، منها الدالية التي أولها :

سعدت غربة النوى بسعاد فهى طوع الاتهام والانجاد

ومنها الدالية المشهورة التي أولها :

ارأيت أي سوالف وخدود عنت لنا بين النوى وزرود

ومنها قصيدته التى أولها :

بوأت رحلى في المراد المبقل ورتعت في أثر الغمام المسيل

من مبلغ أبناء يعرب كلها اني ابتنيت الجار قبل المنزل

وقال فيه من قصيدة :

ألم يأن أن تروي الظماء الحوائم [1]

---

(١) الظماء الحوائم : العطاش الذين يدورون ليجدو الماء.

وان ينظم الشمل المبدد ناظم

لئن ارقأ الدمع العيون وقد جرى

لقد رويت منه خدود نواعم

كما كادينسى عهد ظمياء باللوى

ولكن املته عليه الحمائم

بعثن الهوى في قلب من ليس هائما

فقل في فؤاد رعنه وهو هائم

لها نغم ليست دموعا فان علت

مضت حيث لاتمضى الدموع السواجم

اما وأبيها لو رأتني لايقنت

بطول جوى تنقد منه الحيازم

الى احمد المحمود أمت بنا السرى

نواعب في عرض الفلاو رواسم

الى سالم الاخلاق من كل عائب

وليس له مال على الجود سالم

جدير بأن لايصبح المال عنده

جدير بأن يبقى وفي الارض عارم

وليس ببان للعلى خلق أمرءٍ

وان جـل الا وهو للمـال هادم

له من اياد قمـة المجـد حيثمـا

سمت ولهـا منه البنا والدعائم

وله أيضا فيه وقد اصابته علة :

لا نالك العثر من دهر ولا الزلـل

ولا يكن للعلى في فقدك الثـكل

لاتعتلل انمـا بالمـكرمات اذا

انت اعتللت ترى الاوجاع والعـلل

تضاءل الجود مذ مدت اليـك يد

من بعض أيدي الضناو استأسد البخل

لم يبق في صدر راجي حاجـة امل

الا وقـد مات عقما ذلك الامل

وله فيه من أبيات :

ءاحمد ان الحاسدين كثـير ومالك إن عـد الكرام نظير

اليك تناهي المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير

تجنبت ان تدعي الامير تواضعا وأنت لمن يدعى الامير أمير

أيسـلبني ثراء المـال ربي واطلب ذاك من كف جمـاد

زعمت اذن بأن الجود أمسى له رب سوى ابن أبي دؤاد

ومن مدائحه فيه القصيدة التي اولها « سقى عهد الحمى سبل العهاد » ويقول فيها :

لقد أنست مساوى كل دهر محاسن احمد بن أبي دؤاد
وما سافرت في الآفاق الا ومن جدواك راحلتي وزادي

ولولا خوف الاطالة لذكرناها وجميع ماله فيه .

ولمروان ابن أبي الحبوب فيه .

لقد حازت نزار كل مجد ومكرمة على رغم الاعادي
فقل للفاخرين على نزار ومنهم خندف وبنو أياد
رسول الله والخلفاء منا ومنا احمد بن أبي دؤاد
وليس كمثلها في غير قومي بموجود الى يوم التناد
نبي مرسل وولاة عهد ومهدي الى الخيرات هادى

ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق حسنت حال ابن ابي دؤاد عنده ، ولما مات الواثق وتولى اخوه المتوكل فلج ابن ابي دؤاد ، فقلد المتوكل ولده محمد بن احمد القضاء مكانه، ثم عزله وقلد يحيى بن اكثم ، وكان الواثق بالله قد أمر ان لايرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له ، فكان القاضي ابن ابي دؤاد اذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي ، فقال ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتي وأراه ينسك بعدها ويصوم
لاتعدمن عداوة مسمومة تركتك تقعد تارة وتقوم

وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد ابياتها سبعون بيتا ، فبلغ خبرها القاضي احمد فقال :

احسن من سبعين بيتا هجا جمعك معناهن في بيت
ما أحوج الملك الى مطرة يغسل عنه وضر الزيت

فبلغ ابن الزيات ذلك . ويقال ان بعض اجداد القاضي كان يبيع القار فقال :

ياذ الذي يطمع في هجونا عرضت بي نفسك للموت
الزيت لايزري بأحسابنا أحسابنا معروقة البيت
قيرتم الملك ولم تنقه حتى غسلنا القار بالزيت

وتوفى القاضي احمد بمرض الفالج سنة اربعين ومائتين

عن أبي بكر بن دريد انه قال : كان ابن ابي دؤاد مؤالفا لاهل الادب ، وكان قد ضم منهم جماعة يعولهم ، فلما مات حضر ببابه جماعة منهم وقالوا : يدفن من كان على ساقة الكرم وتاريخ الادب ولا يتكلم فيه ان هذا وهن وتقصير ، فلما طلع سريره قام اليه ثلاثة منهم فقال احدهم :

اليوم مات لسان الملك والسنن

ومات من كان يستعدي على الزمن

وأظلمت سبل الآداب اذ حجبت

شمس المكـارم في غيم من الكفن

وقال الثاني :

ترك المنـابر والسرير تواضعـا

وله منابر لو يشـأ وسرير

ولغـيره يجبى الخـراج وانمـا

يجبى اليـه محامد وأجور

وقال الثالث :

وليس فتيق المسـك ريح حنوطه

ولكنـه ذاك الثنـاء المخلف

وليس صرير النعش ماتسمعونه

ولكنـه أصلاب قـوم تقصف

خاتمة الكتاب

في ذكر شيء من ذم البخل ونبذة من انباء البخلاء .

قال الله تعالى : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) — الآية .

وفي الكافي باسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : ما محق الاسلام كمحق الشح شيء . ثم قال: ان لهذا الشح دبيبا كدبيب النمل وشعبا كشعب الشرك وفي نسخة اخرى « الشوك » .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : اذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل .

وفي النهج عنه عليه السلام : البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به الى كل سوء .

وفي مجموعة ورام عنه عليه السلام : عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي اياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء .

قال بعضهم :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري
فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله
فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

وزار بعض البخلاء قوما فأكرموه وطيبوه وجعلوا في شاربه غالية ، فحك بها شفته العليا فأدخل اصبعه فحكها من باطن الشفة مخافة أن يأخذ اصبعه من الغالية شيئا اذا حكها من فوق .

سأل خالد بن صفوان رجل ، فأعطاه درهم فاستقله السائل فقال : يا احمق ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر العشرة آلاف ، اما ترى كيف ارتفع الدرهم الى دية مسلم .

واحتقن عمر بن يزيد الاسدي بحقنة فيها أدهان ، فلما حركته بطنه كره أن يأتي الخلاء فتذهب تلك الادهان ، فكان يجلس في الطشت ويقول : صفوا هذا فانه يصلح للسراج .

قيل لبخيل : من اشجع الناس ؟ فقال : من يسمع وقع أضراس الناس على طعامه ولا تنشق مرارته .

وقيل لبخيل : لم تأكل وحدك ؟ فقال : للسؤال عمن اكل مع الغير .

يقال : البخيل يملأ بطنه والجار جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع .

ومن الجهالة بالمكارم أن ترى جارا بجوع وجاره شبعان

قال بعضهم :

فان سمعت بهلك للبخيل فقل بعدا وسحقا لهمن هالك مودى
تراثه جنة للوارثين اذا أودي وجثمانه للترب والدود

* * *

تبلى محاسن وجهه في قبره والمال بين عدوه مقسوم

قال بعضهم : بشر مال البخيل بحادث او وارث .

وقال بعضهم لما لاموه على الكرم :

مالي عليَّ حرام ان بخلت به
وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالي اشح بمال لست أملكه
والمال بعدي اذا مامت مقسوم
لابارك الله في مال أخلفه
للوارثين وعرضي فيه مشتوم

* * *

وهبني جمعت المال ثم خزنته
وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه
سيورثه غما ويعتبه وزرا

قال بعضهم : لم أر أشقى بماله من البخيل، لانه في الدنيا

مهتم بجمعه وفي الآخرة محاسب على منعه ، غير آمن في الدنيا من همه ولا ناج في الآخرة من اثمه ، عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الاغنياء .

قال ابن عبد ربه : ومن البخلاء عبد الله بن الزبير كانت تكفيه الاكلة الواحدة لأيام ، وكان يقول: انما بطني شبر في شبر فما عسى ان يكفيه اكلة ، وفيه يقول ابو وضرة مولى الزبير :

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد
أبقيت فضلا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جانحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين
ما زلت في سورة الاعراف تدرسها
حتى فؤادي كمثل الخز في اللين

وابن الزبير هو الذي قال اكلتم تمري وعصيتم امري ، فقال فيه الشاعر :

رأيت ابا بكر وربك غالب على أمره يبغي الخلافة بالتمر

وأقبل اليه أعرابي فقال : أعطني واقاتل عنك اهل الشام. فقال له : اذهب فقاتل فان أغنيت أعطيناك. فقال انك تجعل روحي

نقدا ودراهمك نسيئة .

وأتاه أعرابي يسأله جملا ويذكر ان ناقته نقبت [1] . فقال : انعلها من النعال السبتية واخصفها به . فقال الاعرابي : انما أتيتك مستوصلا لا مستوصفا فلا حملت ناقة حملتني اليك . فقال : أي وصاحبها — انتهى .

سئل محمد بن علي عن مائدة محمد بن يحيى بن خالدوكان بخيلا بالنسبة الى أبيه واخويه ، فقال : صحافها منقورة من خشب الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف ضربة اكرة ، وبين اللون واللون فترة نبي، قيل له ومن يحضرها قال: خير خلق الله وشرهم. قيل : من هم ؟ قال : الملائكة والذباب قيل : انت خاص به وثوبك مخرق . فقال: والله لو ملك بيتا من بغداد الى النوبة مملوءاً أبرا ثم جاءه يعقوب النبي عليه السلام ومعه الملائكة شفعاء والانبياء كفلاء يسألونه إعارة ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر مافعل .

ومن نوادر القطان انه جلس هو وزوجته يأكل طعاما ، فقال لها : اكشفي رأسك، ففعلت وهو يقرء سورة الاخلاص فسألته زوجته عن ذلك ؟ فقال : ان المرأة اذا كشفت رأسها هربت الملائكة

---

(١) نقبت الناقة : خفت أخفافها فلم تقدر على المشي .

واذا قرئت سورة الاخلاص هربت الشياطين، وانا أكره الزحمة على المائدة .

دعا يحيى بن أكثم عدوله ، فقدم اليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها حتى كان احدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر ، فلما خرجوا قيل لهم : اين كنتم ؟ قالوا : كنا في صلاة الخوف .

وقال بعض الاكياس : دعاني كوفي الى منزله وقدم لي دجاجة ، فأكلت من المرقة وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت، فبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطبخه فقدمه الي ، فأكلت من المرق وجهدت ان آكل من الدجاجة فما قدرت لشدته ،فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال للغلام : اطرح على اللحم من المرق ليصير قلية ، ففعل ذلك ثم قال قدمه الي فأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فلم أقدر لقوته ، فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة القبلة وقمت لاصلي عليها ، فقال : ماهذا الذي تصنع ؟ فقلت : أشهد انه من لحم ولي من أولياء الله تعالى فانه قد ادخل النار ثلاث مرات فلم تفعل فيه شيئا ، فلما أردت الانصراف واذا ببعض جيرانه أتاه يدق الباب ويقول: أعرني ذلك اللحم لضيف لاطبخه له وارده اليك انشاء الله تعالى

فناوله اياه .

وقال الاصمعي : قالت امرأة مدنية لزوجها : اشتر لي رطبا. فقال لها : وكيف يباع الرطب ؟ فقالت : كل كيلجة بدرهم . فقال : والله لو خرج الدجال وعاث في الارض وانت كمريم تتمخضين بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه ثم لم تلدينه حتى تأكلي الرطب ما اشتريه لك كل كيلجة بدرهم .

قال رجل بخيل لغلامه : هات الطعام ، واغلق الباب فقال الغلام : الواجب اولا غلق الباب ثم اتيان الطعام . فقال : انت حر لعلمك بالحزم .

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل، فقيل له : هو محموم فقال : كلوا بين يديه حتى يعرق .

وعن دعبل قال : كنا عند سهل بن هارون ، فلن نبرح حتى كاد يموت من الجوع ، فقال : ويلك ياغلام آتنا غداءنا ، فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ وتحته ثريد قليل ، فتأمل في الديك فرآه بغير رأس، فقال لغلامه: واين الرأس؟ فقال رميناه فقال: والله اني لاكره من يرمي برجله فكيف من يرمي برأسه، ويحك أما علمت ان الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك، ولولا صوته ماأريد، وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه اللتي يضرب بها المثل فيقال

« شراب كعين الديك » ودماغه عجب لوجع الكلية ، ولم نر عظما اهش تحت الاسنان من عظمه ، وهبك ظننت اني لا آكله أمـا قلت عنده من يأكله ، انظر أي مكان رميته فأتني به . فقال : والله لا ادري اين رميته . فقال : لكني انا اعـرف اين رميته رميته في بطنك .

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال ، فوصفوا له سويق اللوز ، فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع اخف عليه من الدواء ، حتى أتى بعض أصدقائه ووصف له ماء النخالة وقال : انه يجلو الصدر ، فأمر فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم ، فلما حضر غداءه امر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته : اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر . فقالت : لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء ، الحمد الله على هذه النعمة .

وأهل مرو ممن يوصفون بالبخل ، يقال ان من عاداتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل منهم طرف خيطه ، فاذا استوى جر كل منهم خيطه واكل لحمه وتقاسموا المـرق .

وعن خاقـان ابن صبيح قال : دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا ، فأتى بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط ، فقلت له : ما بال هذا العود مربوطا ؟ قال : قد شرب الدهن واذا ضاع احتجنا الى غيره ولا نجد عودا الا عطشانا ونخشى ان يشـرب الدهن . قال : فبينمـا انا أتعجب واسأل الله العافية اذ دخل عليه شيخ من اهـل مرو ، فنظر الى العود فقال للرجل: يافلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه ، أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود ، لم لا اتخذت مكان هذا إبرة من حديد فان الحديد أملس غير نشاف والعود ايضا ربما تتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها . فقال الرجل الخراساني : أرشدك الله ونفـع بك .

وكان ابو العتاهية ومروان بن ابي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل ، قال مروان : ما فرحت بشيء كما فرحت بمائة درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما .

واشترى يوما لحما بدرهم ، فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين .

واجتاز يوما بأعرابية فأضافته فقال : ان وهب لي الخليفة

مائة ألف درهم وهبت لك درهما ، فوهبه سبعين الف درهم فوهبها اربعة دوانق .

ونزل عليه رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ، ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه :

يا ايها الخـارج من بيته وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جـاء بزاد له فارجع وكن ضيفا على الضيف

وأعطى المهدي مروان يوما ثلاثين ألفا ، فجاءه ابو الشمقمق فقال له : أجزني من الجائزة . فقال له : انا وانت نأخذ ولا نعطى . قال : فاسمع مني بيتين . فقال :

لحية مروان غدت عنبرا خالط مسكا خالصا اذفرا
فما يقيمان بهـا سـاعة إلا يعودان جميعا خِرا

فأمر له بدرهمين . وقيل فيه :

ثوى اللؤم في العجلان يوما وليلة
وفي دار مروان ثوى آخر الدهر
عدا اللؤم يبغي مطـرحا لرحاله
فنقب في بر البـلاد وفي البحر
فلما أتى مـروان خيـم عنده وقال رضينا بالمقام الى الحشر

وليست لمروان على العرس غيرة ولكن مروانا يغار على القدر

ومن بخلاء العرب الحطيئة : مر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا ، فقال : انا ضيف ، فأشار الى العصا وقال : لكعاب الضيفان اعددتها .

ومنهم خالد بن صفوان ، كان يقول للدرهم اذا دخل عليه « ياعياركم تعير ، وكم تطوف وتطير ، لاطيلن حبسك » ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه .

قيل له : لم لاتنفق ومالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه .

وألام اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذي يقال له « هجاء الاضياف » . نزل به مرة اضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر انهم اكلوه بنواه ، وهو القائل في ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة :

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت
وبين أخرى تليها قيد اضفون

لا مرحبا بوجوه القوم اذ دخلوا
دسم العمائم تحكيها الشياطين

باتوا وجلة تمر حل بينهم
كأن أيديهم تحكى السكاكين

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم

وليس كل النوى تلقى المساكين

ومن رؤساء اهل البخل محمد بن الجهم ، وهو الذي يقول: وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستسهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق ، فلا يمتد الي أمل آمل ولا يبسط نحوي رجاء راج .

وقال له اصحابه يوما : إنا نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار شهوتك ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك . فقال : علامة ذلك أن اقول ياغلام هات الغذاء .

في المثل « هو ابخل من مادر » وهو رجل من بني هلال ابن عامر، بلغ من بخله انه كان يسقي ابله يوما فبقي في اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه بخلا به على غيره ومدر الحوض به فسمي مادر (١) .

وفي المثل ايضا « هو ابخل من ابي حباحب » وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد

(١) سلح اي تغوط ومدر الحوض اي سد فجواته بالطين اليابس حتى لايستقي منه .

أن يأخذ منه اطفأه .

عن عمرو بن ميمون انه قال : مررت ببعض طرق الكوفة يوما فاذا أنا برجل يخاصم جارا له ، فقلت : ما بالكما ؟ فقال احدهما : ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا واخذت عظامه فوضعتها على باب داري اتجمل بها ، فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس .

قال بعضهم وقد بات عند بخيل :

فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

وكان المنصور شديد البخل جدا ، وانما لقب بالدوانيقي لمحاسبته على الدوانق . مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما فطرب حتى ضرب برجله المحمل ، ثم قال : ياربيع اعطه نصف درهم . فقال مسلم : والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين الف درهم . فقال : تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال . قال الربيع : فمازلت أمشي بينهما وساطة حتى شرط مسلم ان يحدو له في ذهابه وايابه بغير مؤنة .

في المحاسن والمساوىء عن خالد بن كيلويه قال : كنت نجارا حاذقا ، فذهب بي الى المنصور فقال لي : افتح لي بابا أنظر منه الى المسجد وعجل الفراغ منه . قال : ففتحت الباب وعلقت عليه بابا وجصصته وفرغت منه قبل الصلاة ، فلما نظر اليه اعجبه عملي فقال : احسنت وأمر لي بدرهمين .

وقال المنصور للمسيب بن زهير : احضر لي بناءاً حاذقا الساعة ، فأحضره ، فبنى له طاقا وجوّده ، فنظر اليه واستحسنه فأعطاه المسيب خمسة دراهم فاستكثرها وقال : لا ارضى بذلك ، فلم يزل حتى نقصه درهما ، ففرح بذلك وابتهج حتى كأنه اصاب مالا .

وحضر ابن الحجاج الشاعر المشهور مع صديق له يكنى أبا الحسين في دار رجل بخيل ، فالتمس ابو الحسين العشاء بعد الغداء فقال ابن الحجاج :

ياسيدي يا أبا الحسين أنت رقيع بنقطتين
ياكلب الضرس لن يداوي ضرسك الا بكلبتين
ويحك قل لي جننت حتى تلتمس الخبز مرتين
في دار من خبزه عليه ألف رقيب بألف عين

وحضر في دعوة رجل آخر ، فأخر الطعام الى المساء فقال :

يا صاحب البيت الذي ضيفانه ماتوا جميعا
حصلتنا حتى نموت بدائنا عطشا وجوعا
مالي أرى فلك الرغيف لديك مشترفا رفيعا
كالبدر لانرجو الى وقت المساء له طلوعا

وصار صاحب الدعوة يجيء ويذهب في داره فقال :

يا ذاهبا في داره جائيا لغير ما معنى ولا فائدة
قد جن اضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

وقيل في حق قوم من البخلاء :

تراهم خشية الاضياف خرسا يقيمون الصلاة بلا اذان

* * *

ياقارع الباب على عبد الصمد لا تقرع الباب فما ثمَّ أحد

* * *

رأى الضيف مكتوبا على باب داره
فصحفه ضيفا ومال الى السيف
فقلت له خيرا فأوهم انني اقول له خبزا فمات من الخوف

* * *

أرى ضيفك بالدار وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوب سيكفيكهم الله

* * *

اضياف سالم في خفض وفي دعة
وفي شراب ولحم غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو يسهر ان معا
عمرو لبطنته والضيف للجوع

عن بعضهم انه قال : كنت في سفر فضللت عن الطريق ، فقصدت بيتا في الفلاة فاذا فيه أعرابية ، فلما رأتني قالت : من تكون ؟ قلت : ضيف . فقالت : اهلا ومرحبا بالضيف ، فنزلت فقدمت لي طعاما فاذا صاحب البيت قد أقبل فقال لي : لا أهلا ولأمر حبا مالنا وللضيف ، فركبت من ساعتي وسرت فأتيت بيتا آخر فاذا فيه أعرابية ، فلما رأتني قالت : من تكون ؟ قلت : ضيف . قالت : لا أهلا ولامر حبا بالضيف مالنا وللضيف ، فبينما هي تكلمني اذا قبل صاحب البيت قائلا : مرحبا واهلا بالضيف ، ثم اتى بطعام حسن ، فأكلت فتذكرت ما مرَّ بي فتبسمت ، فقال : مم تبسمك ، فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته ، فقال : لاتعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي اختي وان بعلها أخو أمرأتي هذه ، فغلب كل طبع على اهله .

قد تم هذا الجزء الشريف على يد مؤلفه الاحقر محمد رضا الحسيني الشاه عبد العظيمي في النجف الاشرف على مشرفه السلام سنة ثلاثمائة وسبع واعشرين بعد الالف من الهجرة النبوية.

فهرس الكتـــاب

٣ حياة المؤلف بقلم بعض الاعلام المشهورين .

٦ خطبة الكتاب .

٨ (اللؤلؤة الاولى) وفيها عشرة اطراف .

... الطرف الاول في نبذة من كرم امير المؤمنين (ع) .

١٢ الطرف الثاني في نبذة من كرم الامام الحسن (ع) .

١٧ الطرف الثالث في نبذة من كرم الامام الحسين (ع) .

٢١ الطرف الرابع في نبذة من كرم زين العابدين (ع) .

٢٥ الطرف الخامس في نبذة من كرم محمد بن علي الباقر (ع) .

٢٩ الطرف السادس في نبذة من كرم جعفر الصادق (ع) .

٣٢ الطرف السابع في نبذة من كرم موسى بن جعفر (ع) .

٣٥ الطرف الثامن في نبذة من كرم الامام الرضا (ع) .

٤٤ الطرف التاسع في نبذة من كرم كل من الائمة الثلاثة محمد الجواد والامام الهادي والحسن العسكري عليهم السلام .

٥٣ الطرف العاشر في نبذة من كرم كل من عبدالله بن جعفر رض

٦١ وابني عباس .

٦٩ (اللؤلؤة الثانية) وفيها طرفان .

.... الطرف الاول فيما جاء في الكرم ونبذة من اخبار الكرماء في الجاهلية والاسلام .

٧٣ قيس بن سعد الانصاري .
٧٤ خالد بن عبدالله .
٧٦ اوس بن حارثة الطائي .
٧٨ عرابة الاوسى .
٨١ الطرف الثاني في نبذة من كرم حاتم الطائي المشهور .
٨٧ (تذييل) في نبذة من كرم عدي بن حاتم (رض) .
٨٨ (اللؤلؤة الثالثة) وفيها طرفان .
.... الطرف الاول في نبذة من كرم بعض ملوك الاكاسرة .
٩١ الطرف الثاني في نبذة من اخبار بعض الذين جادو بأنفسهم
٩٣ (اللؤلؤة الرابعة) في نبذة من كرم بعض الملوك والخلفاء والامراء .
١٠٤ (اللؤلؤة الخامسة) وفيها سبعة أطراف .
.... الطرف الاول فيما قيل في آل المهلب من المديح .
١٠٦ الطرف الثاني في نبذة من اخبار المهلب بن أبي صفرة الازدي .
١١١ الطرف الثالث عن نبذة من اخبار يزيد بن المهلب .
١٢٣ الطرف الرابع في نبذة من اخبار مخلد بن يزيد بن المهلب .
١٢٦ الطرف الخامس في اخبار يزيدبن حاتم بن قبيصة بن المهلب

١٣٢ الطرف السادس في نبذة من اخبار روح بن حاتم .
١٣٣ الطرف السابع في نبذة من أخبار الحسن بن محمد (الوزير المهلبي) .
١٣٩ (اللؤلؤة السادسة) في اخبار البرامكة وفيها سبعة اطراف
... الطرف الاول فيما قيل في حقهم .
١٤١ الطرف الثاني في نبذة من أخبار خالد بن برمك .
١٤٤ الطرف الثالث في نبذة من اخبار يحيى بن خالد .
١٤٩ الطرف الرابع في اخبار جعفر بن يحيى البرمكي .
١٥٢ الطرف الخامس في نبذة من اخبار الفضل بن يحيى .
١٦٢ الطرف السادس في ذكر نكبة البرامكة واستيصالهم .
١٧٩ الطرف السابع في ذكر حوادث وقعت بعد ايامهم .
١٨٧ (اللؤلؤة السابعة) وفيها طرفان .
.... الطرف الاول في نبذة من كرم معن بن زائدة الشيباني .
٢٠٠ فيما قيل في رثائه من الشعر .
٢٠٤ الطرف الثاني في نبذة من أخبار يزيد بن مزيد الشيباني .
٢٠٦ فيما قيل في رثائه من الشعر .
٢١٤ (اللؤلؤة الثامنة) وفيها طرفان .
.... الطرف الاول في نبذة من اخبار أبي دلف العجلي (رض) .

٢١٦ فيما قيل فيه من المديح .
٢٢٧ الطرف الثاني في نبذة من اخبار القاضي احمد بن أبي دؤاد
٢٢٩ قصائد لابي تمام الشاعر فيه .
٢٣٤ (خاتمة الكتاب) في ذم البخل ونبذة من حكايات .
... البخلاء ونوادرهم .

ملحوظـــة

ستباشر مكتبتنا قريبا انشاء الله بطبع كتاب (المقالات المهمة) في تاريخ النبي والائمة عليهم السلام تأليف الخطيب الكبير سماحة السيد علي الهاشمي حفظه الله تعالى وهو كتتمة لكتابه (ثمرات الاعواد) المشهور ويتضمن من أحوال النبي (ص) الى الامام الحجة (ع) كما عقد فيه فصلا خاصا بالحسين عليه السلام فبشارتنا الى كافة الخطباء ورواد المنبر الحسيني وسائر أخواننا المؤمنين والله خير موفق ومعين .

كلمـــة شكر

بعد أن انتهى طبع هذا الكتاب النفيس وتقديمه الى القراء الكرام ولله المنة والحمدبهذا الاخراج البديع الذي يليق به وبمكانة السيد الفقيد مؤلفه رضوان الله عليه ، فلا يسعني حينئذ الا أن ارفع جزيل شكري وخالص امتناني الى الذوات المحترمة السادة الافاضل الذين شجعوني وآزروني لتحقيق هذا الغرض الشريف واخص منهم صديقنا الوفي (السيد احمد الحسيني) ابقاه الله تعالى الذي اتعب نفسه في تصحيح الكتاب وتنقيحه بعد ان كانت النسخة القديمة مليئة بالاغلاط بحيث لايستفاد من قرائتها مطلقا كما وأشكر هيئة ادارة مطبعة النعمان وعلى رأسها الاستاذ حسن الشيخ ابراهيم الكتبي سلمه الله لما قاموا به من خدمات جليلة فنية من جودة الحروف والطباعة فالى الجميع آيات الشكر والثناء .

النجف الاشرف

محمد الكتبي

4550

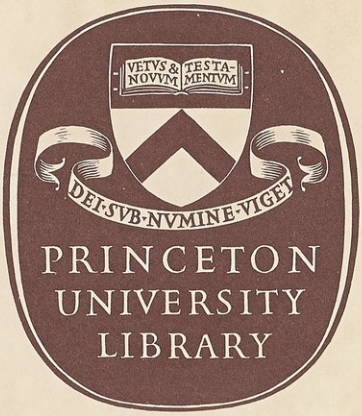
VETVS & NOVVM TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Nov.-Dec. 1988
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 077903050
(ARCO)
BJ1533
.G4S52
1966

هذا الكتاب

- بحث مستفيض عن السخاء والكرم وذم البخل والشح والأحاديث الواردة فيها عن طرق العترة الطاهرة اهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
- قصص نافعة وقطع شعرية شيقة فى الجود والعطاء ، وخاصة القضايا المأثورة عمن اصبح ضرب المثل فى البذل والمروءة واغاثة المعوزين واعانة المحتاجين .
- عرض طريف فيه متعة العالم والأديب والكاتب والباحث وكل من يريد التمتع فى اوقات فراغه بقراءة اجمل الأحاديث المليئة بالعواطف الأنسانية الفائقة .
- حث على التخلق بالاخلاق الأسلامية الراقية وحمل الروح العاطفية تجاه الآخرين .
- وبالتالي فهذا الكتاب خير انيس وسمير للقارىء الكريم لما تضمن في طياته من الحكايات اللطيفة والامثال القيمة ، كما انه مادة تاريخية عن سيرة امراء امجاد ووزراء اجواد عاشوا خلال القرنين الاول والثاني للهجرة ، واخبارهم .